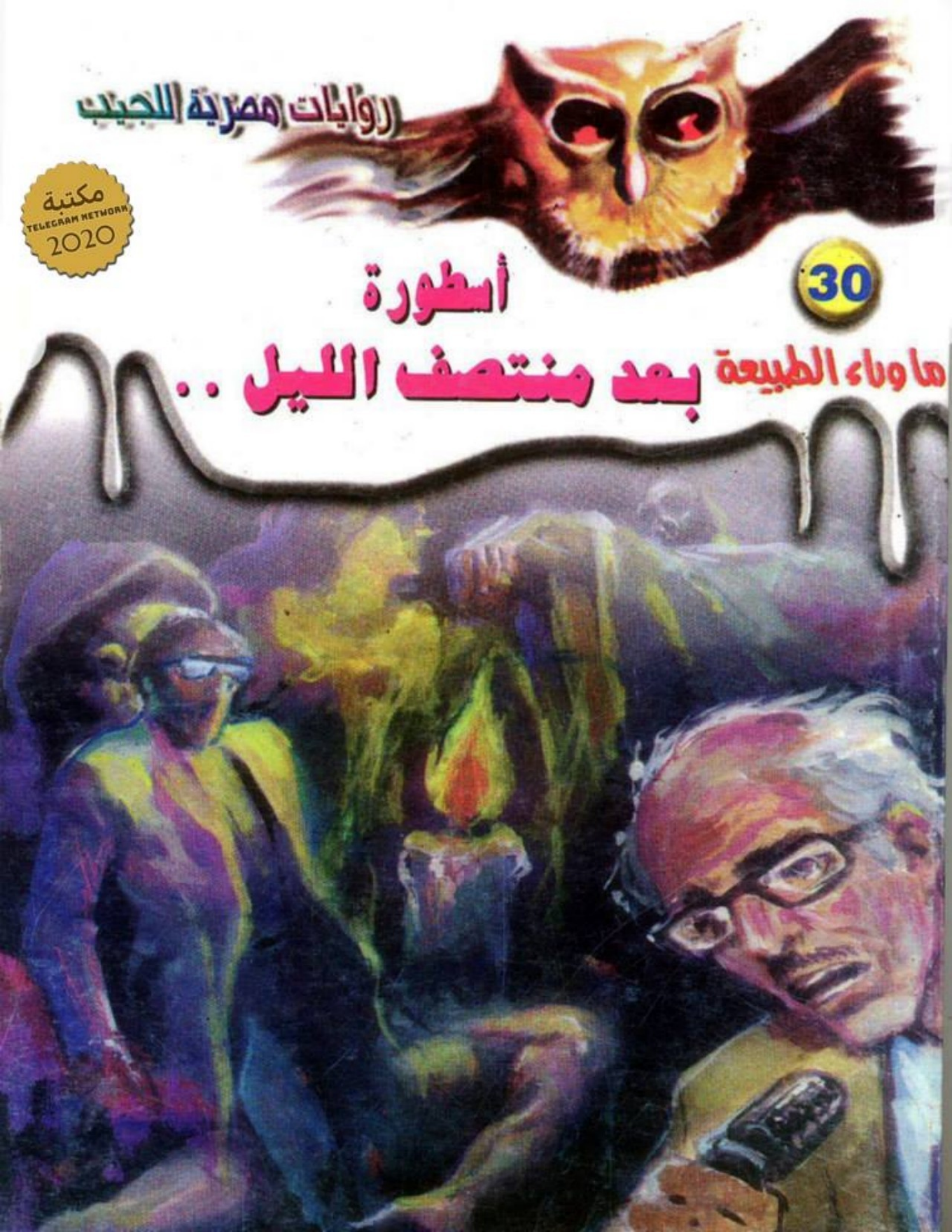

روايات مصرية للجيب
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020
30
أسطورة
ما وراء الطبيعة
بعد منتصف الليل ..

مكتبة
Telegram Network
2020

«المكتبة النصية»

قام بتحويل سلسلة:

(ما وراء الطبيعة)

لـ « د. أحمد خالد توفيق »

إلى صيغة نصية:

(فريق الكتب النادرة)

يزن – المملكة المتحدة


TELEGRAM
NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

مــقــدمــة..

فرغت من مطالعة بعض مجلات أمراض الدم التي جاءتني بالبريد اليوم.. لشد ما يهرول الطب بخطوات مذهلة**!** إن التوقف عن الاطلاع يومًا واحدًا يعني أن يسبقك الآخرون بعام كامل..

مرة أخرى تسألونني عن جدوى الدراسة العجوز على المعاش، يحيا وحيدًا ويخطو إلى القبر بخطوات تماثل خطوات الطب.. إن لم تكن أسرع..

أقول إنني أحترم العلم حقًّا.. والميت الحق عندي هو من كف عن التعلم.. إن دنو

الموت يضايقني حقًا لأنني لن أعرف أبدًا هل توصل (مونتانييه) الفرنسي إلى إيجاد مصل (الإيدز) أم لا؟ وهل صار لقاح البلهارسيا صالحًا للاستخدام التجاري؟ وهل يمكنهم تقسيم الكبد المزروع إلى ستة أجزاء تناسب ستة مرضى؟

أنتم - بعون الله - ستعرفون.. أمّا أنا فاحتمالات ذلك واهية جدًا.. لهذا أكتفي بأن أعرف آخر شيء عرفوه... حتى آخر دقيقة قبل موتي..

الآن حان وقت الثرثرة....

لقد أرحتكم مني - إلى حدٍ ما - ثمانية أعداد كاملة.. منذ أن زأر (المينوتور) في متاهته.. وحتّى هلك (الجاثوم) في مخبئه..

البعض لم يحبّ هذه الإجازة.. والبعض أحبها..

لكني - كما قلت مرارًا - أزور غبًا لأزداد حبًّا.. وخير لي أن يُقال لماذا لا يكتب؟ من أن يُقال: لماذا يكتب؟

سأعود لكم من جديد.. وعسى أن يكون قرارًا صائبًا..

لكني سأكرر موضوع الخطابات هذا كلما تراكمت عندي..

إن الجدّة والتشويق هما غرض السلسلة، ولا دخل الشخص معين بهذا الغرض.. وإلا لصار اسم السلسلة (مذكرات رفعت) أو (أبو الرفاع يحدثكم)....

القصة القادمة هي عدد خاص جدًا.. إن حلقة الرعب الثالثة توشك على البدء.. فهل جميعكم هنا؟

لا بأس.. في هذه المرّة لن أحكي شيئًا.. بل سأستعمل شريط تسجيل قديمًا عندي.. يعود إلى العام ١٩٦٩ و ١٩٧٠

ومعًا سنستمع إلى حلقات مختارة من برنامجكم..

(بعد منتصف الليل)...

الصفحات التالية هي تفريغ لحلقات مختارة من البرنامج الإذاعي (بعد منتصف الليل)، الذي كان يُذاع في الواحدة صباحًا أسبوعيًا، ونال شعبيّة كبيرة في عامي ١٩٦٩ و١٩٧٠، ثم منعت الرقابة إذاعته بسبب

تأثيره السلبي على نفسية الأطفال.

مقدمة البرنامج الثابتة

صوت صرير باب ينفتح ببطء..

ثم صرخة امرأة..

بعدها تبدأ موسيقا فاخرة متوجسة..

ويدوي صوت المذيع هادرًا بلهجة منذرة:

بعد منتصف الليل

عزيزي المستمع..

هل لديك خبرة مخيفة بعالم ما وراء الطبيعة؟ هل هناك خطر معين يطاردك؟

هل ترى أشياء مريبة لا يمكن تفسيرها؟ لاتتردد.. ارفع سماعة الهاتف واطلب رقمنا فورًا.. سنصغي إليك.. ونحاول حل مشكلتك وإزالة مخاوفك.. مع ضيفنا الدكتور (رفعت إسماعيل)..

عزيزي المستمع.. أنت لست وحدك**!**

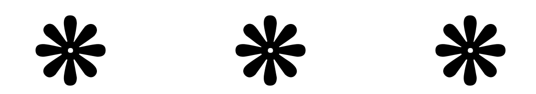
(تتعالى الموسيقا من جديد.. ويبدأ ذكر أسماء الفنيين).

تقديم: شريف السعدني

الهندسة الإذاعية: أسامة نجم.

إخراج: جلال القصاص.

(أخيرًا تخفت الموسيقا وتبدأ الحلقة)...



بعد منتصف الليل

(صوت ضحكة.. ثم صوت [ششش!] يمنع صاحب الضحكة من الاسترسال).

شريف:

أعزائي المستمعين.. يسعدني أن ألتقي معكم في هذه الساعة المبكرة من صباح الجمعة.. أعرف أن أكثركم يقاوم النعاس الآن إن لم يكن قد نام فعلًا.. لكني أعدكم بأنكم ستفتحون عيونكم إلى أقصى اتساع لها.. فهذا البرنامج يتحدث عن كل ما هو غريب وغير مألوف.. وله مزية أخرى مهمّة هي أنكم أنتم من يصنعون الإثارة

والطرافة.. إن قصصكم هي وقود آلة الرعب التي لن تكف عن العمل من الآن فصاعدًا..

يسرني أن أقدم لكم ضيفًا دائمًا لهذا البرنامج.. د. (رفعت إسماعيل) الذي بدأ يحرز شهرة لا بأس بها بعد ما كتب وقيل عن خبراته في عالم ما وراء الطبيعة.. مرحبًا بك يا دكتور..

رفعت:

مرحبًا بك يا (شريف)..

شريف:

أرجو ألا نكون قد أثقلنا عليك بالسهر إلى هذه الساعة؟

رفعت:

إنني وطواط آدمي لا ينتعش إلا ليلًا.. والليل على كل حال مناسب تمامًا لما ننوي التحدّث عنه.. ثم إن له مزية أخرى.. من المؤكد أن الأطفال جميعًا قد ناموا...

شريف:

بعضهم لم يفعل..

رفعت:

هذا البعض لا يمكن إفزاعه على كل حال.. فهو مرعب بما يكفي..

شريف:

(يضحك في مجاملة).. هاها**!** يقولون يا دكتور إنك لا تترك سرًا غامضًا أو مرعبًا إلا وتقحم نفسك فيه إقحامًا.

رفعت:

أعترف بأنني لا أتعمد البحث عن المتاعب.. يقول الشاعر الألماني (فلهلم بوشه): لا أحد يشتري الفئران.. الفئران تهرع من تلقاء نفسها إلى دارك**!**

لقد حاولت دومًا أن أكون شخصًا عاديًا كالآخرين لكني فشلت.. أعتقد أنني مصاب بنوع خاص من النحس..

شريف:

وهل حقًّا تعتبر نفسك هادمًا للأساطير؟

رفعت:

لا أظن.. كنت أعتبر نفسي كذلك يومًا ما.. ثم بدأت أوقن أنني لا أعرف شيئًا عن أي شيء.. إن الحياة غامضة حقًّا..

والتجريب هو المقياس الوحيد لمعرفة كنه أسطورة ما.. لكني..

شريف (مقاطعًا):

حتى لو كانت الأسطورة؟

رفعت (في ضيق):

لا تقاطعني.. لكني لم أصادف حتى اليوم أسطورة تصطدم بالدين وتثبت صحتها.. قد تصطدم بالعلم وهذا يحتمل الجدال.. لكنّها لا تصطدم بالدين أبدًا إلا واتضح أنها أكذوبة...

شريف:

ما هو في رأيك الهدف المرتقب من برنامجنا هذا؟

رفعت:

لا هدف سوى أن أحصل أنا على مكافأة حضوري هنا.. وتحصل أنت على راتبك.. إنّه هدف لا بأس به أبدًا.. لكنّ - إذا حاولنا أن نتناسى الماديات - فإنّه يوجد هدف مرموق في حد ذاته هو أن نشعر بالرعب..

شريف:

هلا أوضحت لنا هذه النقطة بشكل مفصل؟ ما هي جدوى أن نخاف؟

رفعت:

يقول مخرج أفلام رعب شهير: إننا نحب أن نجرب أسوأ الأشياء على الإطلاق.. حتى إذا انتهى العرض شعرنا بسرور عارم لأننا مازلنا أحياء وبصحة جيدة..

فهذا يشعرنا بالتفوق وقدرتنا على الاستمرار...

شريف:

أعترف بأنها نظرية عسيرة التصور...

رفعت:

يسمون المبدأ كله باسم Catharsis أو (تطهير).. فانت حين ترى الرعب تغسل من مخاوفك الداخلية الكامنة.. والأمر على كل حال لا يخلو من صدق.. فكل الأطفال يعشقون قصص (الغولة) وثرثرة الأمهات عن (العاو).. أفلام الرعب تحقق أعلى الإيرادات.. وبيت الأشباح في مدينة الملاهي مكتظ دائمًا.. بل إنني أرى هذا الميل في أشياء بسيطة.. في زحام

المتزاحمين حول حادث سيارة.. وفي كل من المتجمهرين نزعة ماسوشية خفية لتعذيب النفس برؤية مشهد الضحايا المشوهين.. بعدها يعود كل منهم إلى داره وقد تم تطهيره[1]!

شريف:

وهل تختلف ميول الجمهور حسب المتغيرات الاجتماعية؟

رفعت:

يقال إن خوف أمريكا من الغزو الشيوعي في الخمسينات ـ الفترة التي يسمونها بـ (المكارثية) - أدت لانتشار قصص الغزو الخارجي والاستحواذ الشيطاني وتيمة (هل أمك هي أمك حقًّا؟).. إنها تيمة شهيرة

ومفزعة.. والمعنى واضح: هل يأتي يوم يتحول فيه جيرانك وأهلك إلى شيوعيين؟

شريف:

هل تعني أن صناع هذه القصص كانوا يريدون قول هذا؟

رفعت:

لا بالطبع.. لقد قالوا هذا دون أن يعنوه.. لقد تحركوا لا شعوريًا في تيار الوجدان المحرك للمجتمع.. وقدموا أعمالًا فنية تكلمت تلقائيًا.. إن الشيوعيين خطر داهم على المجتمع الأمريكي.. لكنهم - وهذا المخيف - يبدون مثلنا بالضبط....

شريف:

هل ثمّة أمثلة أخرى؟

رفعت:

يقولون ـ مثلًا ـ إن قصص مصاصي الدماء تنتشر حين يسود الرخاء والاستقرار الاجتماعي.. في حين تسود قصص (الزومبي) و(المذوءبين) في فترات القلاقل والتضخم والثورات.. إن مصاصي الدماء في القصص يكونون متأنقين أثرياء وراقين إلى حد كبير.. أمّا المذءوب فهو رمز للطبقة العاملة المطحونة.. وكذلك الزومبي هو في وضع اجتماعي أكثر سوءًا...

قصص الأشباح تزدهر كلما ازداد الواقع ضيقًا وبؤسًا.. فهي وسيلة لا بأس بها للفرار من الواقع..

شريف:

هل الرعب هو فقط مصاصو الدماء والمذءوبون والأشباح والبيوت المسكونة؟

رفعت:

بالطبع لا.. إن الخيال الإنساني وغد لا يهمد أبدًا.. وحيث يوجد خيال يوجد خوف.. والرعب يبدأ معنا منذ ميلادنا.. هل تذكر جولة المعلم بين الصفوف في المدرسة الابتدائية ليختار طلبة عشوائيين، يسألهم سؤالًا عسيرًا؟ العصا في يده.. وخطواته تدنو منك.. وأنت تحاول ألا تنظر نحوه حتى لا يراك.. إنّه يدنو.. قلبك يوشك على التوقف.. وفجأة تشعر بيده الغليظة على كتفك.. وصوته الصارم يقول: والآن لنر ما سيجيب به هذا الحمار!!

شريف:

يا للهول يا د.(رفعت)**!** إنك قد أعدت لي الرعب من جديد**!**

رفعت:

هكذا ترى أن الرعب ليس هو بالضرورة المومياوات العائدة للحياة..

شريف:

أنا أتحدث عن الرعب الميتافيزيقي أساسًا..

رفعت:

حتى هذا الرعب له أبواب لا تنتهي.. أبسطها ما تشعر به حين تعود لدارك ـ وأنت تعيش وحيدًا - لتجد أن جهاز التلفزيون مفتوح أنت تعرف جيدًا أنك

أغلقته قبل خروجك! عندها تشعر بهذه الرجفة الغامضة.. وتغمغم في قلق: ثمّة شيء ما يحدث هنا!

شريف (في قلق):

الواقع أنني مستمتع بهذا الحديث.. لكننا بانتظار المكالمة الهاتفية الأولى.. ولا أدري لماذا تأخرت إلى هذا الحد؟ إن المستمعين لم يألفوا البرنامج بعد، لكنهم سيتسابقون بعد قليل على الاتصال.. ثق بهذا...

رفعت (في استرخاء):

أنا لست قلقًا.. مادمت سأنال أجري في جميع الظروف..

شريف:

دعني أسألك يا د. (رفعت).. يقولون إنك إنسان ملول حقًّا.. وتكره الإصغاء إلى ثرثرة الناس.. فكيف قبلت أن تأتي معي ها هنا؟

رفعت (يضحك):

أنا كما قلت.. لكني وجدت فيك أشياء كثيرة أفتقر إليها يا (شريف).. فأنت شاب وسيم.. ولامع.. إنك ذلك الشاب الذي كنا نراه مرسومًا في كتب القراءة القديمة، بنظافته وشعره المصفف وأظفاره المقلمة وجلوسه معتدل الظهر على (القمطرة).. ثم إنك متحمس.. وأنا لا أفهم كيف يتحمس الناس لأي شيء.. لهذا كان أقوى مني أن أرفض عرضك.. فأنت مخلوق جدير بدراسته كخلد الماء وذبابة (تسي تسي)..

شريف:

لا أدري أهذا مديح أم سباب أقاضيك عليه.. لكنى أشكرك على كل حال.. بالمناسبة: ما هي (القمطرة)؟

رفعت:

يبدو أنه المكتب.. كانت كتب القراءة القديمة تحتم أن (تضع الحُلة فوق المشجب) و(تضع القرطاس فوق القمطرة).. ثم (تتبلغ ببعض الخشنكان).. أي تأكل البسكويت!

شريف:

لا أدري.. هل ستكون الحلقة الأولى كلها حوارًا بيننا؟ إنني أنتظر المكالمة الأولى

بفارغ الصبر، وأعتقد أنها لن تأتي اليوم.. ربما....

(صوت رنين الجرس المُلِح).

لحسن الحظ**!** الحمد لله على أنّ هناك واحدًا ساهرًا في الجمهورية.. آلوه؟

صوت فظ:

لقد فعلتها**!**

شريف:

فعلت ماذا بالضبط؟

الصوت:

كل ما أمرت به**!** كان صراخهم شنيعًا لكني لم أرحمهم**!**

شريف لـ (رفعت):

ً

تبدو بداية طيبة حقًّا.. مارأيك؟

رفعت (في ملل):

إنني لشديد الحماس.. لكني لا أعرف كيف أظهر حماسي..

شريف:

هلًا عرفنا من المتكلم من فضلك؟

الصوت:

كيف؟ ألا تعرفني يا (جودة)؟

شريف في (امتعاض):

(جودة)؟

الصوت:

أنا الحاج (ششماوي).. لقد كسبت القضية.. ولن أتنازل عن حقي مهما

حدث.. كما أمرتني بالضبط.. إن الحلوان عندي.. فقطعة الأرض هذه....

شريف:

لحظة.. لحظة.. يا حاج (ششماوي)**!** الرقم خطأ.. هذا رقم الإذاعة.. إننا.....

الحاج:

معذرة.. فصوتك هو صوت (جودة) بالضبط.. كليك**!**

شريف (في خيبة أمل):

ظننت أننا سنبدأ العمل.. ليست قضايا الأراضي ملائمة لهذا البرنامج.

رفعت:

كل يبكي على ليلاه.. وبالتأكيد يتساءل الرجل عن سر بقاء هذا المجنون ساهرًا بعد منتصف الليل مادام ليس هو (جودة)..

(رنين الهاتف من جديد)..

شريف:

عسى الا يكون هو من جديد... آلو.. برنامج (بعد منتصف الليل).. هل تريد سرد مشكلتك للدكتور (رفعت إسماعيل)؟

صوت طفل:

أمس جاءت طانط (ناني) عندنا.. وكان (ميدو) معها!

شريف (في رقة مصطنعة):

من تريد يا صغيري؟

الطفل:

لقد سرق (ميدو) مسدسي.. لكني ركلته في مؤخرته..

شريف:

آلو**!** ضع السماعة حالًا أيها الطفل المتشـ..... يا صغيري العزيز**!**

صوت امرأة:

معذرة يا أستاذ.. عيب يا (زيزو)**!** معذرة يا أستاذ.. فابني لا يأكل إلا إذا تركت له الهاتف ليعاكس من يريد.. ويختار أرقامًا عشوائية**!**

شريف:

لا عليك.. إنّه يملك حاسة إعلامية لا بأس بها... (كليك)..

رفعت:

ربما كان تركه ليموت جوعًا حلًا أكثر إغراء.. إن بعض الأطفال يكونون مرعبين أكثر من كل ما ننوي الكلام عنه...

شريف (في ضيق):

مكالمتان خاطئتان! إن هذا يفوق قوانين المصادفة..

رفعت:

لا شيء يتم بسهولة معي أبدًا.. ولعل كوني أتوقع الأسوأ دائمًا قد جعل الحياة بالنسبة لي حشدًا من المفاجآت السارة! فالأمور لم تكن بهذا السوء الذي حسبتها به قط..

(رنين جرس الهاتف)..

شريف (متوجسا):

هذه المرّة.. هذه المرّة.. لو لم يكن مستمعًا فلسوف تنهار أعصابي.. آلو! من يتحدث؟

صوت امرأة:

أنا (نهلة).. أليس هذا برنامج (بعد منتصف الليل)؟

شريف (يتنهد):

بالتأكيد يا سيدتي..

نهلة:

أحاول الاتصال منذ عشر دقائق كاملة دون جدوى..

شريف:

كانت هناك مكالمتان قبلك كما تعلمين.. لا بد أن المذياع جوارك؟

نهلة:

للأسف لا.. هل د. (رفعت) معك؟ أخبرني البواب أنه هنا..

شريف:

حتمًا.. إنّه يسمع ما تقولين..

نهلة:

قل له إنّه نسي صنبور الماء مفتوحًا، وأغرقت المياه شقته**!** لقد اضطررنا إلى تهشيم باب الشقة.. أنا زوجة الأستاذ (زكريا) ساكن الشقة السفلى.. كليك**!**

شريف (في نفاد صبر):

هل ترى أن تذهب لتنقذ سجادة الصالون؟

رفعت:

لا داعي.. لقد فات الأوان.. وهم قد اقتحموا الشقة لإغلاق الصنبور.. فلا فائدة من إفساد البرنامج...

شريف:

يخيل إلى أنه قد فسد بالفعل.. إن النحـ....

(رنين جرس الهاتف)..

آلو**!** من معي؟

صوت امرأة:

هل هذا هو برنامج (بعد منتصف الليل)؟

شريف:

حتمًا يا سيدتي.. هل لي أن أعرف من أنت؟

المرأة:

لا أنوي الإفصاح عن ذلك.. إن اسمي لا يعني أحدًا سواي.. وعلى كل حال يمكنني أن أحكي قصتي مباشرة...

شريف:

كلى آذان مصغية.. وضيفنا كذلك....

المرأة:

حسن.. تبدأ القصة كما يلي....

❋ ❋ ❋



الحلقة الأولى

الزوج الذى عاد

تحكيها : مجهولة الاسم

الحلقة الأولى
(الزوج الذي عاد)

تحكيها مجهولة الاسم

«لقد ارتكبنا خطأ جسيمًا يا سيدتي.. خطأ من النوع الذي لا يكفي الندم لإصلاحه.. خطأ لا يكفي إغلاق نوافذنا وأبوابنا ليلًا كي نتفادى عواقبه!»

المرأة:

أصارحك القول يا أستاذ (شريف) إنني خائفة..

شريف:

أرجو أن تتجاهلي وجودي وتوجهي الحديث إلى د.(رفعت) مباشرة.

المرأة:

حسن.. أنا خائفة يا د. (رفعت).. إنّه ذلك الخوف الذي لا يوجد مصدر عقلاني له.. فحينما تخشى الفئران تربي قطًا.. وحينما تخشى اللصوص تغلق نوافذك أو ترخص

مسدسًا.. لكنّ حينما يكون خوفك غير ذي وجود مادي يكون اجتنابه شبه مستحيل..

رفعت:

أفهم تمامًا ما تقولين يا سيدتي.. إن الخوف من الغد مثلًا لا حل له..

المرأة:

هكذا أنت تفهمني.. والآن أحدثك عن نفسي بشكل أفضل.. أنا امرأة في الأربعين من عمري حاصلة على شهادة متوسطة.. ومتزوجة منذ عشر سنوات.. لكني لم أرزق أطفالًا..

رفعت:

يبدو لي أسلوبك في الكلام مثقفًا.. إنك تعرفين جيدًا ما تتحدثين عنه..

المرأة:

لأنني علمت نفسي بنفسي.. ولا تنس أن (العقاد) لم تكن معه شهادات سوى الابتدائية.. إن التعليم يختلف كثيرًا عن الثقافة.. والذكاء يختلف كثيرًا عن كليهما..

لقد تزوجت في الثلاثين من عمري.. كان عليّ أن أعني بأمي وشقيقاتي...

إنها تلك القصة المكررة دائمًا: الأم العجوز لا تكف عن نصح ابنتها بالزواج (لكي أطمئن عليك يا بنيتي قبل أن أموت).. والفتاة تقول في إباء وشمم ممزوجين بلذة استشهاد لا شك فيها:

(لا أريد الزواج يا أمي.. فلا ينقصني شيء).. لكنها تعرف أن أمها تعرف أنها لا

تعني ما تقول..

وأنها قلقة.. وأنها تشعر بشمعة العمر إذ تحترق..

إن البنات لا يقلقن على تأخر زواجهن بسبب حاجة فسيولوجية معينة أو خوفهن من العنوسة أو شوقهن للأمومة.. أعتقد أنهن يقلقن لسبب واحد يا د. (رفعت).. هو رؤيتهن لصديقاتهن يتزوجن واحدة تلو الأخرى..

هل تعرف ذلك الشعور الممض؟ لحظة استلام بطاقتك من السجل المدني أو استعادة كراستك في المدرسة الابتدائية؟ الصوت ينادي واحدة تلو الأخرى.. الكل يسترد أوراقه.. تدريجيًا تجد نفسك واقفًا

وحدك بانتظار من يناديك بدورك.. ذلك القلق الرهيب والشعور بأنك قد سقطت سهوًا من فوق مائدة الحظ.. وأن أحدًا لن يبحث عنك تحتها!

هل تفهمني؟ لكم من حفل زفاف حضرت! وكم من صديقة فارقت.. كأنني أشيع جنازتها وأعود منهكة من قبرها.. لكنّ عزائي الوحيد كان دائمًا هو أنني اخترت ذلك بمحض إرادتي..

وفي الصباح كنت أعمل سكرتيرة براتب ضئيل في مكتب حكومي.. حيث لا أفعل أي شيء ولا أنال أي أجر على هذا (اللاشيء)..

وفي المساء كان البيت ولا شيء سواه.. أعمال البيت والمذاكرة لأخوتي.. و(قزقزة) اللب على الأريكة أمام شاشة التلفزيون جوار أمي...

وغدًا يوم آخر... ليس أكثر مللًا ولا أقل..

ثم ظهر الحاج (صبحي)..

إن الاسم مزيف طبعًا..

رجل في الخمسين من عمره طبعًا.. تاجر يكسب كثيرًا دون أن يكلفه الأمر سوى بعض المكالمات الهاتفية والشجار بصوت عالٍ.. ويبدو أنه بدأ حياته مع هؤلاء الذين يزايدون في المزادات دون نية شراء حقيقيّة.. ومن ثم يبادر الخصوم إلى دفع حلوان له كي يتركهم وشأنهم... أردت أن

أقول لك إنّه قادر على المتاجرة بكل شيء وأي شيء..

رآني الحاج - الذي لم يتزوج بعد لانهماكه في الإثراء - في أثناء زيارته لمكتبنا الحكومي.. هنا يجب أن أعترف لك يا د.(رفعت) بأنني لست قبيحة.. إنني من النوع الذي يصفونه في إعلانات الزواج بـ (سمراء ملفوفة القوام حاصلة على مؤهل متوسط، وتقدس الحياة الزوجية)..

رفعت:

أعرف هذا السخف.. ولا أدري كيف يكتب رجل محترم عن نفسه أنه (أبيض اللون مثقف)؟!

المرأة:

كان لا بد أن يقع الرجل في هواي.. كلهم يفعلون هذا ثم يحجمون.. كانوا في البداية يحجمون لأنّهم يعرفون أنني سأرفض.. ثم صاروا يحجمون لأنّهم لا يعرفون سر عدم زواج فتاة لا بأس بها حتى سن الثلاثين.. لكنّ الحاج كان يعرف ما يريد بالضبط...

ولم ألبث أن وجدته في صالون دارنا المتواضع.. ولم يكن سيئًا إلى هذا الحد.. فهو لا يرتدي جلبابًا أو يبصق على السجادة على الأقل.. كما أنه لم يكن يستعمل السباب أكثر من اللازم.. لم يكن يبدو كفرسان الأحلام طبعًا.. ولم يكن يركب حصانًا أبيض لكنه يركب سيارة فاخرة.. ثم.. أنت تعرف كيف تتم أمور كهذه.. يسمّونه (النصيب).. وأنا لا أجد

اسمًا أفضل للحظة تخلي الفتاة عن إصرارها على الرفض.. لا بد من لحظة ما.. ولا بد من شخص ما يكون موجودًا في هذه اللحظة.. هذا هو نصيب الفتاة..

شريف:

معذرة على مقاطعتي إياك.. لكنّ لو كنت تظنين هذا برنامج (رسالة)[2] الخاص بالمشكلات الاجتماعية فنحن......

رفعت:

دعها تتكلم يا (شريف).. إنها تضعنا في الجو.. ولا أعتقد أنك ستجد من يبدأ مكالمته قائلًا: إن هناك مصاص دماء في حمام شقتي..

المرأة:

ربما أطلت الكلام.. وإنني لأعتذر.. المهم أننا تزوجنا.. وأننا عشنا حياة لا بأس بها أبدًا.. لم يبخل بشيء وبر بوعده في رعاية إخوتي ووالدتي.. فقط لم يرزقنا الله بأطفال..

وككل رجل شرقي أبى كبرياؤه أن يسمح له بإجراء الفحوص اللازمة، وكنت أنا الضحيّة التي يمكن إرغامها على إجراء كل شيء عرفه الطب ولم يعرفه.. صرت فأر تجارب لا يمرّ على يوم دون إجراء نفخ أنابيب أو أشعة على الرحم أو.. أو....

بدأ يتحدث عن الزواج من جديد.. بدأ يتحدث عن قطار العمر الذي يجري دون طفل يحمل اسمه (كأنه اسم طارق بن زياد).. بدا يتحدث عن حاجة المرء إلى

ابن يقف إلى جواره في شيخوخته ليتهمه بالعقوق...

وكانت أمي هناك...

وبالطبع كانت لنا زيارات عدة إلى ألعن مجموعة من النصابين ذوي (السر الباتع) إياهم.. كلهم ملتحون يجلسون في قاعة يفعم البخور هواءها.. وكلهم يتحدثون عن (عمل) مدفون على عتبة داري أو في حشية فراشي أو في مقبرة ما.. مبالغ طائلة حصلوا عليها مني دون جدوى..

وبدأ نفور زوجي يزداد.. مأمورياته وصفقاته التي تستدعي السفر تتزايد ولم أكن بحاجة لذكاء كبير كي أعرف أنه ـ غالبًا ـ قد تزوج..

ماذا أفعل؟ لا شيء... إن البكاء صامتة في دورة المياه لهو العلاج الحاسم للمقهورين وغير القادرين على الإيذاء أو اتخاذ رد فعل إيجابي.. وعلى كل حال لم يغير معاملته الماديّة الشريفة لي..

ثم جاء اليوم الموعود...

رفعت:

يبدو أن القصة ستبدأ هنا..

المرأة:

كنت أعرف أنه يمرّ بمشاكل ماديّة طاحنة.. يبدو أن مشاكله الأسرية قد جعلت حاسة الكسب عنده أقل رهافة.. وقد خسر كثيرًا جدًا في فترة قصيرة حتى إنني سمعته ينهنه في دورة المياه ذات ليلة..

فعلمت أنّ هذه الدورة تحولت إلى نوعٍ من (حائط المبكى) لكل أفراد الدار..

كان عصاميًا.. ولأنه عصامي كان ينفر من مصارحة امرأته بشيء.. ولم يكن يطلب رأي أحد أو عون أحد.. لم يكن يثق سوى برأيه هو...

وبعد أسبوع واحد سافر إلى الإسكندرية..

كان هذا هو اليوم الأخير له على ظهر الأرض..

لم يجدوه في أي مكان.. كانت بذلته على الرمال.. وقال أكثر من شاهد أنهم رأوا رجلًا يجتاز المياه في الظلام برغم الأمواج العاتية.. واجتاز البراميل غير عابئ بصرخات المنذرين.. بعدها لم يروه

ثانية.. وعاد لي أحدهم بالبذلة.. و.. (تهانف).. إهئ!

رفعت:

أ.. حسن.. هل ترين أن نرجئ المكالمة إلى أن؟ إن دموع الأنثى هذه....

المرأة (تسترد أنفاسها):

لا.. لا.. لا داعي.. لقد وجدوا خطابًا في جيب البذلة يخبرهم من هو ويقول: إغفري لي يا (....) فقد فاضت بي الديون.. أعلم أنني أترك لك عبئًا مهولًا أعانك الله عليه.. اتصلى بالمحامي وهو سيخرجك من هذه الورطة..

وبعد ما تلقّيت العزاء واكتشفت أنني أبدو فاتنة في الثياب السوداء؛ وبعدما عدت إلى

بيت أمي - كالعملة الزائفة - اتصلت بالمحامي، وكان رأيه قاطعًا بخصوص بيع منزل زوجي.. لكنّ المشكلة كانت أكبر مما تصورت.. فأملاك زوجي لا يمكن حصرها.. ومن المستحيل أن أعرف ما آل إليّ بالوراثة وما آل لزوجته الأخرى إن وجدت..

وقضيت والمحامي ساعات سوداء ننقب في أوراق زوجي الفقيد، وفي مكتبه بوسط المدينة..

إن عقلي غير معد لأشياء كهذه.. ولم أتصور قط أن كل هذه العقود وكل الشروط الجزائية وكراسات الشروط يمكن أن توجد في مكان واحد.. وعليّ أنا بالذات أن أجد دربي وسط كل هذا..

لهذا تحولت إلى طفلة مذعورة ترمق بابا المحامي في لهفة وانبهار.. إن الرجل الذي يفهم هذه الأشياء لهو رجل قادر على كل شيء..

لكن المحامي لم يكن كُلّي القدرة كما ظننت..

قال لي متعبًا وهو ينزع عويناته:

- «لا شيء.. إن أهم الأوراق غير موجود هنا..»

- «والحل؟»

- «هل تعرفين له مقرًا آخر؟»

- «لا.. إلا إذا...»

وفكرت في زوجته الأخرى لو كانت هناك واحدة..

ربما كانت الأوراق عندها.. ولكن أين هي؟ ومن هي؟ لماذا لم تظهر حتى هذه اللحظة؟

ظللت أبحث شهورًا عن بصيص من نور دون جدوى.. زرت قريته ونمت في غرفته لأفتشها بدقة.. ليس الأمر طمعًا مني.. بل هو محاولة للفرار من الديون التي كبلني بها والتي لم يكف ثمن المنزل لسدادها.. كل ما وجدته لدى زوجي لا يكفي لسداد ربع ديونه...

واسقط في يدي..

لماذا لم يكتب كل شيء بالتفصيل في رسالة الانتحار هذه؟

شريف:

واضح أنه كان يحسب المحامي يعرف..

المرأة:

الله أعلم.. وربما هو يعابثني على سبيل دعابة قاسية أخيرة.. ربما كان في قبره بأعماق البحر يضحك هازئًا مني..

المهم أن المحامي جاءني بعد شهرين وقدم لي فكرة غير عادية..

رفعت:

تحضير الأرواح طبعًا!

المرأة:

كـ... كيف عرفت؟

رفعت:

القصة هكذا دائمًا!

المرأة:

إنك لشخص مخيف..

رفعت:

بل الحياة هي النمطية أكثر من اللازم.. لنعد لموضوعنا..

المرأة:

كان المحامي يعرف رجلًا من جمعية الأرواح المصرية.. قال لي إنّه موثوق به ويجيد عمله.. وإنه شخصيًا جربه في استحضار روح أبيه.. **هل** تؤمن بتحضير الأرواح يا د. (رفعت)؟

رفعت:

لا أدري.. كانت لي ثلاث تجارب فاشلة، واحدة منها مع نصاب يهودي.. لا أزعم

أنني أنفي الموضوع أو أؤكده.. فنحن لا نعرف عن الروح سوى أقل من القليل.. أقول فقط إنني لم أر تجربة ناجحة قط.. إن النصابين في هذا المجال لم يتركوا مكانًا للصادقين.. لكني أعتقد أنك لست جديدة على مناخ السحر والسحرة هذا..

المرأة:

إن ما تقوله يخيب أملي.. كنت أحسبك مررت بألف تجربة على الأقل تعرف معها الحقيقة كاملة...

رفعت:

إن الروح من أمر ربي ولن يغير رأيي ولا رأيك هذه الحقيقة.. والآن هلا أكملت القصة؟ ربما كان لي رأي في آخرها..

المرأة:

كما قلت أنت: لقد اعتدت هذه الأجواء فلم أخشها كثيرًا.. صحيح أنني لا أجد سوى نصابين.. لكنّ تحضير الأرواح له جو راقٍ يختلف كثيرًا عن جو (الأعمال)، و(الهدهد المصاب بالبواسير)، و(شمهورش) المزواج الذي يهيم بكل حسناء تكثر من تأمل نفسها في المرآة..

ذهبت والمحامي بناء على ميعاد مسبق إلى منزل الدكتور (عدلي) في الهرم.. وهو رجل متأنق راق يوحي بالثقة.. تأملني في اهتمام وسألني عما أريده من الروح التي أطلبها.. فقلت له ـ بين مكذبة ومكذبة ـ إنني أبغي سؤال روح زوجي عن موضع أوراقه..

قال دكتور (عدلي) - وهو يداعب حبيبات مسبحة من العقيق - إنّه يمرّ بتجارب عديدة مماثلة.. فالموتى - للأسف - ينسون دومًا إن يضعوا أوراقهم في مكان ظاهر قبل الموت.. ثم سألني:

- «كيف مات الفقيد؟»

- «مات منتحرًا.. لم يكن هذا بسببي!»

قطب جبينه في شرود.. وتساءل وهو يداعب المسبحة:

- «هذا سيئ.. هل أنت مستعدة لتحمل تبعات تحضير روحه؟»

- «تبعات؟»

- «طبعًا.. إن أرواح المنتحرين تكون قلقة شرسة.. وأحيانًا تصر على البقاء..

ولو كنت كاذبة بصدد أنك لم تكوني سبب انتحاره فلسوف نعرف هذا بسهولة!»

- «حسن أنا مستعدة»

وعرفت أن تحضير الأرواح يتم بعدة طرق.. أشهرها أسلوب لوحة الحروف الأبجدية التي يتحرك فوقها كوب مقلوب... ويسمونها لوحة (الويجا).. ثم هناك طريقة الوسيط الذي يتكلم بلسان الفقيد ويرد على الأسئلة.. وطريقة الزجاج الأسود.. وطريقة السلة.. ومشكلة طريقة السلة هي أنها سهلة إلى حد يجعل الكثيرين يجربونها في بيوتهم.. الأمر الذي يرى د. (عدلي) أنه شبيه بمخاطرة تحضير قنبلة نوويّة في مطبخ الدار..

وكان الدكتور (عدلي) عاتبًا على الأستاذ (أنيس منصور) الذي كتب طريقة السلة بتفاصيلها في أحد كتبه[3]، مما جعل الكثيرين يجربونها في ديارهم جاهلين ما ينتظرهم من خطر مريع..

وكان رأى د. (عدلي) هو أن أسلوب الوسيط هو الأمثل.. فهو يجعل الروح والمتلقي على اتصال مباشر.. هل لدي اعتراض؟ لا؟ إذن لنبدأ الآن.. وقد كان.. وفي مساء الثلاثاء ٢٣ سبتمبر بدأت التجربة..

أظلمت الأضواء فيما عدا ضوءًا أحمر خافتًا.. وأدار أسطوانة هادئة الموسيقا.. وأشعل عودًا من البخور جعل الضوء الأحمر نفسه ذا رائحة...

وجلسنا - نحن الثلاثة - حول منضدة صغيرة...

وراح د. (عدلي) يتلو بعض الآيات القرآنية.. ثم أغمض عينيه.. وهمس مرددًا اسم زوجي مرارًا.. بعدها ساد الصمت..

كان ينتظر قدوم الروح..

(شريف) (في حماس):

ألم تشعري بالذعر؟

المرأة:

إن الجو المقبض يحرك الخيال.. لكني كنت واثقة أن شيئًا لن يحدث.. ولو حدث فهو خدعة.. مثلما يحدث دائمًا.. شريط تسجيل.. كلام من البطن.. شخص مختف في المكان يتكلم.. أي شيء..

رفعت:

لاتقولي إنك وجدت شيئًا من هذا...

المرأة:

بتاتًا.. يبدو لي الرجل صادقًا.. لقد فشل على كل حال**!** ولو كان نصابًا لكان نجاحه في تحضير الروح مؤكدًا..

رفعت:

ماذا تقولين؟ فشل؟**!** لم أتوقع هذا..

المرأة:

هذا ما حدث.. لقد مر وقت طويل علينا.. هو يهوم رأسه يمينًا ويسارًا في حركة تشبه النوم..

رفعت:

يسمونها الـ (ترانس)...

المرأة:

أيًا كان اسمها.. رأيت وجهه يتقلص.. العرق يحتشد على جبهته.. عيناه انفتحتا لكنّ حدقتيه لم تكون هناك.. كانتا في مكان ما أعلى محجريه..

أي أنني رأيت عينين بيضاوين تحدقان فيّ بإصرار..

ثم إنّه صرخ من بين أسنانه.. وقال: إن الروح تأبى أن تستجيب لي.. إنها ذائبة في الأثير.. أو شيء من هذا القبيل..

رفعت:

كلهم يقولون هذا..

المرأة:

كان الأمر واضحًا بما يكفي.. ورحت أتأهب للنهوض، حين سمعت صوت مقعد يتحرك في طرف الغرفة.. مقعد يتحرك وحده..

عندها استرخي جسد د. (عدلي).. لم يسترخ تمامًا لكنه كف عن التشنج على الأقل.. وبصوت عميق متحشرج ناداني باسمي....

شريف:

أي أن الاتصال قد تم...

المرأة:

هذا هو ما حاول إقناعي به.. لا أدري هل تفهمني أم لا.. لقد كان الصوت عامًا جدًا.. شائعًا للغاية.. الصوت الذي يمكن أن

يصدر من أي حاج تجاوز العقد السادس من العمر.. يمكن أن يكون هو صوت زوجي الراحل ويمكن ألا يكون.. هذه مسألة تحتمل القولين...

رفعت:

ومحتوى كلامه.. ألم يدلك على شيء؟

المرأة:

قال لي إنّه لا يفهم سر استدعائي له.. فقلت له إنني أريد أوراق ممتلكاته..

قال لي إنّه يكرهني وإنه لا يرغب حقًّا في أن يخبرني بشيء.. ثم أضاف أنه مضطرب نفسيًا لأنّه وافد جديد على عالم الأرواح.. وبالتالي لا يبغي مزيدًا من الكلام...

وانتهت الجلسة فوجدت د. (عدلي) يعتدل.. ويعود تدريجيًا إلى طبيعته.. راح يجفف عرقه.. ويحل ربطة عنقه.. وأضاء الأنوار...

ثم قال: إنها أصعب تجربة اتصال يقوم بها في حياته.. لقد كان هناك شيء ما غير مفهوم يعوق الأمر.. كأن هناك من يعيده إلى الأرض باستمرار كلما حاول الابتعاد عنها..

ثم سألني: هل عرفت ما تريدين؟

قلت له: لا..

قال لي: كنت أتوقع هذا.. فالمنتحرون لا يتميزون بالمودة ولا لطف المعشر..

سأله المحامي عما إذا كان هناك ما يمكن عمله..

قال الرجل: علينا أن نكرر الجلسة مرارًا.. فلربما يلين الفقيد...

لم أجرؤ على مصارحته برأيي فيه.. إن النصابين هم أكثر الناس إيحاء بالثقة بالتأكيد.. وإلا فكيف ينجحون في عملهم؟

شريف:

وهل كررت المحاولة كما طلب؟

المرأة:

بالطبع لا.. إنّه يطلب خمسين جنيهًا في كل جلسة.. وهو ثمن أفضل الموت ولقاء زوجي مباشرة على دفعه.. لكنّ القصة لم تنته بعد..

بعد هذه الجلسة الفاشلة بثلاثة أيام كنت في بيت أمي.. كنت جالسة على الأريكة (أقزقز) اللب كدأبي أمام التلفزيون.. وكانت أمي غافية - ككل المسنين - جواري.. بينما نام إخوتي..

لابد أن منتصف الليل قد اقترب..

أنت تعرف يا د. (رفعت) هذا الشعور الغريب الذي ينتاب العصبيين.. الشعور بأن هناك من يراقبك.. تشعر به يتركز هناك في مؤخرة رأسك.. ويدفعك دفعًا إلى الالتفات.. وكان عليّ أن ألتفت إلى الوراء.. إلى الردهة التي تمتد أمام باب المطبخ...

عندها رأيت - لربع ثانية - رجلًا يرتدي منامة زرقاء، وهو يدلف إلى المطبخ ليتوارى عن عيني داخله!

في عصبية هززت أمي لتصحو وشعر رأسي ينتصب هلعًا:

- «ماما.. هناك شخص ما بالمطبخ!»

- «أحقًا! بسم الله الرحمن الرحيم!»

- «أقسم على هذا..»

- «و.. وماذا نفعل... ننادي الجيران؟»

لكنّ جزءًا من عقلي كان يردد باستمرار: أنت واهمة.. أنت ترين أشياء لا وجود لها ككل النساء.. لهذا قررت أن أرى بنفسي أولًا..

كانت سكين المطبخ على المائدة جواري.. لهذا تناولتها.. أنا لا أعرف كيف أقتل إنسانًا بسكين لكني تظاهرت أمام نفسي بأنني أعرف...

دخلت إلى المطبخ بخطوات حذرة.. ووالدتي ورائي.. وقبل أن أضغط زر الضوء الكهربائي عرفت أنني سأراه...

رفعت:

عمن تتحدثين بالضبط؟

المرأة:

زوجي طبعًا**!** أنا لا أتحدث عن فأر.. في البداية رأيت جسده المظلم واقفًا أمام الموقد.. ثم أضاءت النور فرأيت تفاصيله التي لن أنساها أبدًا.. رأسه الأصلع المحمر

قليلًا بفعل الشمس.. وشعره الأشيب على جانبي رأسه.. وشاربه الكث الأحمر كصلعته.. ومنامته الزرقاء المميزة.. والعرق الأبدي على جبهته.. كان ينظر لي دون أن يدير وجهه نحوي..

لا أدري كيف أعبّر عن...



رفعت:

تريدين القول إنّه كان في وضع (ثلاثة أرباع خلفي) كما يقول المصورون..

المرأة:

تبًّا لمصطلحاتك هذه**!** لم يكن الوضع يسمح بعمل دراسة عن جماليات الكادر.. كان هناك فحسب.. وكان يتأملني في صمت ولوم..

فتحت فمي لأصرخ.. لكنه لم يعد هناك.. لم يعد أمامي سوى المطبخ الخاوي البائس.. وعرفت عندها أن أمي رأت ذات الشيء معي**!**

ولك أن تتخيل الآن كيف قضينا ليلتنا.. قضيناها متلاصقتين نقرأ القرآن ونرتجف ونتساءل عن سر هذا..

شريف:

هل انتهت القصة عند هذا الحد؟

المرأة:

بل كانت البداية.. البداية لتواجد مكثف له في كل مكان.. في الحمام.. في الصالة.. عند مدخل الشقة.. في غرفة النوم..

دائمًا هو هناك بمنامته الزرقاء ونظرة اللوم في عينيه الحمراوين.. ودائمًا لا يقول شيئًا تقريبًا.. وفي كلّ مرّة يختفي بذات الكيفية الدرامية...

كان يترك لنا الكثير من الهلع والصراخ والجنون..

وطلبنا آراء الكثيرين ممن يفهمون في هذه الأمور.. لكنهم كانوا هم الجهل مجسمًا

أو الادعاء مجسمًا أو النصب مجسمًا..

إن أكثر الاقتراحات احترامًا كان أن نترك المنزل... ولكن إلى أين؟ لقد بعت شقته منذ زمن..

رفعت:

أفهم هذا.. إن هجر البيوت المسكونة لنوع من الترف لايصلح إلا للأثرياء.. أمّا هنا فالتأقلم هو الحل الوحيد...

المرأة:

ثم من قال إنّه لن يقتفي أثري حيثما ذهبت؟ لقد أحال حياتنا جحيمًا.. والأسوأ هو أنني ظللت عاجزة عن فهم سر متابعته لي.. لماذا هذا الوقت بالذات؟ ولماذا يرمقني بهذا اللوم؟ أنا لم أوذه في شيء..

أم أنه ليس من حقي أن أتألم لأنّه أذاني مرارًا؟

شريف:

لعلها تجربة تحضير الأرواح إياها؟ لعل د. (عدلي) لم يتمكّن من صرف الروح؟

المرأة:

ذهبت إليه واقترحت عليه شيئًا كهذا.. لكنه قال إنّه عاجز تمامًا عن تفسير الأمر.. وقال إننا يمكن أن نقوم بمحاولة جديدة لتحضير الروح.. بعدها يمكن أن نسأل الحاج عن سبب نقمته على...

وكانت التجربة الثانية مقنعة نوعًا....

لقد تحرك المقعد في مرحلة مبكرة.. وهذا يعني تواجد الروح في الغرفة.. وقد سألت

الوسيط حين ناداني باسمي:

- «لماذا تطاردني يا حاج؟»

- «إنّه الانتقام!»

قالها بصوت وأسلوب قريب جدًّا من زوجي الراحل...

سألته وأنا أرتجف:

- «لماذا؟»

- «لأنك غبية حمقاء.. أغبى من رأيت في حياتي.. لقد كان كل شيء على ما يرام لي لكنك أصررت في غباء على...»

- «على ماذا؟»

- «على أن تعلمي!»

لم أفهم ما يريد قوله.. فسألته السؤال الذي كان يؤرقني كامرأة:

- «هل أنت متزوج من أخرى؟»

مرت هنيهة من الصمت.. ثم قال في هدوء:

- «لم أكن قبلها.. لكني بعدها فعلت!»

- «بعد.. بعد ماذا؟»

قال في غموض:

- «إن اللبنانيات يتمتعن بسحر غريب!»

ثم بلهجة عاتية الاتهام:

- «وأنت أفسدت كل شيء.. كل شيء!»

حاولت أن أستفهم أكثر لكنّ الوسيط أفاق من غيبوبته.. وعرفت وقتها أن الهدنة مع

الروح قد انتهت.. ستعود الحرب سجالًا بيننا..

رفعت:

هل أنت تتحدثين من دارك الآن؟

المرأة:

نعم.. أنا جالسة في الصالة كعادتي.. أنتظر ميعاد الظهور اليومي.. لن يلبث أن يعبر الصالة بتؤدة أمامي.. أو يفتح باب الحمام ليخرج منه.. أو أراه واقفًا من وراء كتفي وهو يرمقني بذات النظرة.. إنّه كابوس لا يمكن الخلاص منه أبدًا..

رفعت:

وهل انتهت القصة عند هذا الحد؟

المرأة:

نعم.. لقد كانت الجلسة الأخيرة أمس فحسب.. وقد انغلقت كل الأبواب أمامي فلم يعد هناك سواك يا د. (رفعت).. هل يُمكنك أن تفتح لي ثغرة من النور؟

رفعت:

لا أدري هل أستطيع أم لا.. لكنّ هذه القصة تذكرني بخبر قرأته في الجرائد منذ شهر أو أكثر.. ربما في الأسبوع الأخير من سبتمبر.. متى قلت إنك قمت بجلسة التحضير الأولى؟

المرأة:

الثلاثاء.. ٢٣ سبتمبر.. لن أنسى هذا التاريخ أبدًا..

رفعت:

حسن.. الخبر كان عن وفاة مصري مجهول الشخصية في (بيروت).. وجدوه ميتًا في فندق واتضح أن بيانات هويته مزورة.. كانت هناك صورة للمتوفي.. صورة لن أنساها لأنّها تشبه صديقي الدكتور (محمد شاهين) - أطال الله عمره - إلى حد كبير.. رأس أصلع وشارب كث وشعر أشيب ثائر على جانبي الرأس.. هل يذكرك هذا الوصف بشيء؟

المرأة:

لا أعتقد..

رفعت (بغيظ):

ألم تذكري هذه الصفات منذ ثلاث دقائق حين وصفت زوجك؟!

المرأة:

أه**!** لكنّ زوجي مات قبل هذا التاريخ بشهور...

رفعت:

هذا هو بيت القصيد.. والآن أفسحي خيالك وصدرك لما سأقول.. زوجك يمرّ بضائقة مالية لكنه تاجر بارع راضٍ عن نفسه.. تاجر غير مثقف لا يمكن أن يشعر بالاكتئاب.. الثقافة والاكتئاب والانتحار أشياء من عالم واحد.. وزوجك لا ينتمي لهذا العالم بالتأكيد.. إنه ليس ممن ينتحرون تحت أية ظروف..

لم يجد أحد جثة زوجك.. أوراقه المهمة مختفية.. ماذا نجد في كل هذا؟ نجد أنه قد

فر بعيدًا عن مسئولياته ودائنيه بعد ما أقنع الجميع بانتحاره...

إلى أين ذهب؟ لقد تحدث ـ وهو شبح - عن (لبنان).. كل الفارين يهربون إلى لبنان ولا أدري لذلك سببًا.. يمكننا القول دون خطأ كبير إنّه فر إلى (بيروت) ليبدأ حياة جديدة.. ومعه بالتأكيد ما يلزم لبدء تجارة جديدة ناجحة.. ألم تقولي إنّه يتاجر بكل وأي شيء؟

المرأة:

بلى.. ولكن هذا عسير التصديق.. و.. وجلسة تحضير الأرواح؟

رفعت:

ألم تفهمي بعد؟ أنت حين ذهبت لبيت د. (عدلي) مع المحامي لم تعرفي ما ستقومين به.. لقد وجد الرجل عسرًا شديدًا في استحضار الروح في البداية.. لم يجدها.. ثم بعد قليل جاءت الروح وكانت مرتبكة مذعورة...

ما معنى هذا؟

معناه ببساطة أنكم قمتم بتحضير روح شخص مازال حيًّا!

شريف:

يا للهول!

المرأة:

هذا.. هذا جنون!

رفعت:

ربما.. لكنّ ما حدث بعد ذلك يستحق وقفة.. ففي أحد فنادق (بيروت) هوى رجل في العقد السادس من عمره ميتًا دون سبب واضح.. إن النوبات القلبيّة تفسير جاهز مناسب دائمًا.. لكنهم لو تأكدوا من لحظة الوفاة لوجدوا أنها في مساء اليوم الثالث والعشرين من سبتمبر!

لقد انتزعتم روح الرجل منه لتسألوها عن مكان الأوراق.. ولن يدهشني أن يكون الرجل حاقدًا عليك لأسباب واضحة!

المرأة:

يا للهول! تعنى أنه كان حيًا لحظتها؟

رفعت:

كان.. في بداية الجلسة.. لكنه لم يعد كذلك في نهايتها.. لقد ارتكبتم خطأً جسيمًا يا سيدتي.. خطأً من النوع الذي لا يكفي الندم لإصلاحه... خطأً لا يكفي إغلاق نوافذنا وأبوابنا ليلًا كي نتفادى عواقبه**!**

شريف:

هل أنت واثق من هذه النظرية يا د. (رفعت)؟

رفعت:

هذا يتوقف على صدق المعطيات التي بين يدي...

المرأة:

و.. وماذا عساي أن أفعل؟**!**.. إن هـ.. هذا مخيف...

رفعت:

يمكنك استشارة د. (عدلي).. فهو المسئول عن وضعك في ورطة كهذه..

المرأة (في هلع):

د. (رفعت)**!** الغوث**!** أنا لم.... إنّه أمامي الآن**!**

رفعت:

زوجك؟ هل عاد؟

المرأة:

نعم.. نعم.. إنّه يقف أمامي.. يرمقني بتلك النظرة الثابتة التي... ابتعد عني يا (عباس).. أنا لست مسئولة عن شيء.. الخطأ خطؤك أنت**!**

رفعت:

لا أدري هل أنت تهلوسين أم لا.. لكني أنصحك بعدم البقاء وحيدة...

(صوت صراخ.. أشياء تنقلب):

إنها متمسكة بسماعة الهاتف.. هذا الإصرار يروق لي حقًّا!

(شريف) (في رعب):

هل يوجد ما يمكننا عمله؟

رفعت:

معلوماتي أن الأشباح لا تؤذي سوى المعنويات.. إن هذا الرجل يقودها إلى الجنون ببطء.. وهذا هو كل ما يقدر عليه.. لو تمالكت أعصابها قليلًا فقد...

المرأة:

د. (رفعت)**!** افعل شيئًا آآ.. إنّه لا يريد الرحيل... بل هو يدنو مني باستمرار وهو يشير إليّ بإصبعه.. إنّه يتهمني**!** لا أريد أن.. آه**!** الشرفة**!** إنّه يريد أن أتجه إلى الشرفة.. لا بد أنّ هناك ما يثير اهتمامه هناك.. هاها: لم لا؟ لا بد أن المنظر رائع من هناك**!**

رفعت:

لا تتهوري يا... عليك بإيقاظ أسرتك**!** إنّه يريد أن يغريك بالـ...

المرأة (في هستيريا):

ماذا بوسعك أن تفعل؟ أنت لست أنا.. هاها**!** ماذا بوسع أي واحد أن يفعل؟ هيهي**!**

الشرفة! نعم.. أنا أتوق لاستنشاق هواء المساء.. وداعًا يا د. (رفعت).. لقد كانت معرفتك ممتعة حقًّا!

رفعت:

أرجوك لا! لا تفعلي! إنّه..... (كليك!)... لقد وضعت السماعة!

شريف:

هل.. هل تعتقد أنها ستفعلها؟

(رفعت) (في أسى):

أنا لا أعتقد.. أنا واثق.. إن مخايل الذعر الحيواني الذي يستحيل التعقل معه واضحة تمامًا.. ومن يدري؟ ربما هي تشعر بعقدة ذنب معينة...

شريف:

تعني تحضيرها لروحه؟

رفعت:

بل قبل ذلك.. من يدري؟ ربما لم تكن الديون وحدها هي سبب فرار الرجل.. إن أمثاله يهوون المواجهة وربما دخول السجن.. فهم يعتبرون السجن جزءًا لا يتجزأ من تجربتهم...

شريف:

إذن هي كاذبة بصدد معاملته لها؟

رفعت:

إننا لا نرى سوى أخطاء الآخرين.. كما أننا حين نقود السيارة لا نرى كشافاتنا أبدًا بل كشافات السيارات الأخرى.. وقد تعلّمت أن كل من يحكي مشكلة يضع نفسه

في صورة الحمل المجني عليه عديم الأخطاء.. وبالتالي أعتقد أنها لم تكن حملًا إلى هذا الحد مع الذئب الذي هو زوجها.. إنها قادرة على تحطيم حياته وإشعاره بفارق السن بينهما وعجزه عن الإنجاب.. وحين فر منها ومن مسئولياته ظلت هي تفتش عن أمواله في نهم إلى حد تحضير روحه لتخبرها...

لقد تلقت درسًا قاسيًا على يد الزوج الذي عاد...

❋ ❋ ❋



الحلقة الثانية

حكاية من المشرحة

يحكيها : د. عصام عبد القادر

الحلقة الثانية
(حكاية من المشرحة)

يحكيها: د. عصام عبد القادر

«في قاعة مظلمة تفوح فيها رائحة (الفورمول).. وعلى منضدة من مناضدها؛ يرقد ذلك الرجل وعيناه لا تفارقان وجهي.. أينما ذهبت.. شرقًا أو غربًا.. شمالًا أو جنوبًا..».

المقـدمــة

شريف:

ها نحن أولاء يا سادة نجتمع للقاء الرعب الأسبوعي مع د. (رفعت إسماعيل).. أرجو أن تكونوا ساهرين جوار أجهزة المذياع، وأن تتأكدوا من أن الأطفال قد ناموا.. لقد كانت حلقة الأسبوع الماضي الخاصّة بمصاصة الدماء في مدرسة البنات شائقة حقًّا[4].. لقد تلقّيت عشرات المكالمات تبدي إعجابها بها - الحلقة - ولكن الجميع ينسى أن نجاح هذا البرنامج لا يعود لنا.. بل لكم.. أنتم من تمدون...

رفعت (في ملل):

(أنتم من تمدون آلة الرعب بقصصكم لتعمل ولا تتوقف أبدًا).. اختصر يا (شريف).. اختصر.. لقد كررت هذه العبارة عشر مرات منذ الحلقة الأولى..

شريف (لا يخفى غيظه):

لكنها الحقيقة..

رفعت:

إن كون الشمس تأتي من الشرق لا يعني أن تذكر هذا طيلة اليوم.. وعلى كل حال نحن نثرثر بانتظار المكالمة الأولى.. هل قرأت ما نشر بالصحف أمس عن انتحار أرملة في (العباسية) بعد مرض نفسي طويل؟

شريف:

هل تعتقد أنها بطلة أولى حلقاتنا؟ لكنّ شهرين قد...

رفعت:

بالتأكيد لم تفعلها في تلك الليلة.. لكنّها فعلتها أول من أمس.. لم يختلف الأمر كثيرًا. الخبر يقول إنها زوجة تاجر انتحر بدوره منذ فترة بسبب الإفلاس.. وأنها لم تنجب.. وإنّها كانت تعيش في بيت أسرتها... لا توجد أرامل كثيرات بذات الصفات على ما أظن..

شريف:

ولماذا وكيف ظلت حية هذين الشهرين؟

رفعت:

لقد قاومت.. لكنّ حدودها تنتهي عند هذه النقطة... يا لها من مأساة...

(رنين الهاتف)..

يبدو أنّ هذا هو زبون الليلة...

شريف:

آلو؟ برنامج (بعد منتصف الليل).. هل لي أن أتعرف المتحدث؟

صوت شاب:

كيف حالك يا أستاذ (شريف)؟ أنا د. (عصام عبد القادر).. طالب بالسنة الرابعة من كلية الطب...

رفعت:

إنها عادة طلاب الطب العتيدة.. ما إن يخطو أحدهم إلى داخل الكلية بعد إنهاء دراسته الثانوية حتى يصر على تسمية نفسه (دكتور).. على كل حال.. مرحبًا بك يا دكتور.. لعلك واحد من تلاميذي؟

د. عصام:

بالواقع لا.. أنا من كلية أخرى....

شريف:

هلا بدأت السرد من فضلك؟

عصام:

إنها قصة تعود إلى السنة الأولى من كلية الطب. هل تذكر هذه السنوات يا د. (رفعت)؟ هذه النشوة والرهبة والفخر الداخلي.. وشعورك بأن الحياة قد اختارتك

أنت دون سواك كي تخبر أسرارها.. إنّه ذلك الانبهار المجنون بلفظة جديدة ذات مذاق لاتيني حريف.. حينما تكف البطن عن أن تكون بطنًا وتتحول إلى Abdomen... وتتكلم بتلك اللغة الركيكة التي يستعملها طلبة الطب التي تمزج بين العربيّة واللاتينية.. وتتشدق بها في كل مكان حتى في الحافلة.. حاسبًا أن الناس يرنون لك في إعجاب..

رفعت (في سأم):

أفهم كل هذا.. صدقني..

عصام:

بالطبع كانت المشرحة هي المكان ذو الثقل الأعظم في نظرتنا للأمور.. فهي أول

ما يثب لذهن الناس حين تتكلم عن دراسة الطب.. كنا نرمق اللافتة القديمة التي كتب عليها (المشرحة) في شوق وخوف.. هناك يكمن الموت بكل غموضه ورهبته.. وهناك الأجساد البشريّة التي تنتظره أن نفتحها لنعرف سر الحياة.. كل واحد فينا كان يعتقد أنه سيعرف كل شيء بمجرد أن يمد يده إلى الجثة.. وبغرور الشباب لم يسأل نفسه عن سر فشل كل من شرحوا الإنسان - من عهد (فيز اليوس) حتى اليوم - في اكتشاف سر الحياة.. إن الأمر يختلف معك.. لأنك هو أنت...

وجاء اليوم الموعود....

دخلنا القاعة الرطبة في رهبة.. كانت هناك فتيات معنا.. لكنّ أكثرهن تراجعن

إلى الوراء بضع خطوات وقد تقلصت وجوههن في اشمئزاز..

رائحة (الفورمول) تعبق الجو.. وهي ألعن رائحة يمكن شمها.. وتأثيرها على العينين والأنف يوشك أن يكون قاتلًا لمن لم يعتدها...

وعلى مناضد متراصة متلاصقة رأيناها...

تلك الأشياء الرهيبة التي تجمدت في الأوضاع التي هلكت بها..

بدافع من كبرياء نواصل التقدم.. اللعنة على أول من يتراجع..

وناظرين إلى تلك الأشياء بدأنا - رويدًا - نفقد خشيتنا الأولى.. إن هذه الجثث تكاد

لاتمت إلى الأحياء بشيء.. لقد جعلها (الفورمول) أقرب إلى تماثيل خشبية غامقة اللون يصعب أن تصدق أنها آدمية.. تماثيل هائلة الحجم من الصلصال البني..

وفارقنا ذعرنا.. وبدأنا نتخذ مقاعدنا ونتزاحم حول المناضد.. وقد تطوع أكثرنا حماسًا ورغبة في لفت الأنظار بأن يكون هو قائد المجموعة الصغيرة حول المنضدة.. وتناثرت كتب (كننجهام) هنا وهناك.. وبرزت المباضع.. ودوت المصطلحات اللاتينية التي اصطكها (فيساليوس)..

وعرفنا أن اختبارنا الأول قد تم بسلام...

شريف:

إنك لتثير خيبة أملي يا د. (عصام).. فلم أتصور الأمر بهذه السهولة..

رفعت:

كل الأشياء تبدو من الداخل أتفه مما هي في الخارج....

عصام:

لكني لم أنته بعد.. لم أنتظر منتصف الليل لكي أخبركم بمدى شجاعتي.. إن القصة أكثر تعقيدًا كما سترون بعد قليل... يجب هنا أن أحكي لكم ما حدث قبل تجربة المشرحة بعام أو أقل قليلًا.. وكل ما أرجوه ألا تلوموني بأكثر مما أستحق.. فأنا بشر...

كان هذا في إحدى ليالي الشتاء...

ربما كان الليل قد انتصف أو لم يحدث بعد... لا يهم...

كنت عائدًا من سهرة في دار أحد أصدقائي.. كان الوقت متأخرًا والليل باردًا إلى درجة لا تصدق.. وكنت أجد السير في الأزقة المظلمة لاها من الزمهرير.. وبخار الماء يحيطنى بهالة من الضباب جعل زجاج عويناتي كأنه مصنفر.. وبيد مرتجفة أضم طرفي الـ (بول أوفر) الذي أرتديه على صدري طالبًا بعض الدفء..

عابر سبيل اصطدمت به في الظلام...

لم يكن الموقف يستحق الاهتمام؛ وكان من الممكن أن يمرّ ببساطة.. لكنه سبّني

بفظاظة.. وقال شيئًا ما عن الحيوانات العمياء..

حاولت أن أنهي الموقف محافظًا على كرامتي.. لكنه كان يسعى للشجار.. ربما كان غاضبًا حقًّا أو يبغي التحرش.. لا أدري..

كل ما هناك هو أننا اشتبكنا بالكلمات ثم باللكمات.. كان قويًا.. لكنّ عويناتي لا تعني أبدًا أنني فريسة سهلة.. فأنا كتلة من العضلات.. ثم إنني ألعب دور الحليم في كل أطوار حياتي.. فإذا غضبت..

لا أدري كم لكمة وجهت إلى أنفه وفكه وأسفل بطنه.. كل ما أذكره هو أنه تهاوى على ركبتيه.. ثم سقط أرضًا...

وحين عاد إليّ رشدي، انحنيت - وقد استحال غضبي فرقًا - لأتفحص جسده الممدد هناك.. لم يكن يتحرك.. إن الظلام دامس لكنه لا يتنفس.. لا أسمعه يتنفس.... هل هو....؟

رفعت:

بالطبع فررت دون كلمة واحدة..

عصام:

طبعًا.. استولى الذعر على فؤادي.. وانطلقت في الأزقة لا ألوي على شيء... الدموع تغمر وجهي والشعور بأنني فقدت أثمن ما في حياتي.. لقد فعلت ما لايمكن أن تظل حياتي بعده كما كانت قبله..

المهم أنني عدت إلى داري ولم أخبر أحدًا بحرف.. لكنّ وجه الرجل ظل يطاردني..

عيناه الحادتان.. شاربه المنمق الجميل.. شعر رأسه الفاحم.. الشامة الكبيرة على خده الأيسر.. نظرة التحدي الوقح العدوانية..

وفي الصباح والصباحٍ التالي رحت أطالع الصحف في نهم بحثًا عن خبر ما عن العثور عليه.. شهر كامل.. عام كامل لم أكف فيه عن البحث.. لا شيء.. لهذا معنى واحد: الرجل لم يمت.. إنّه حي يرزق.. لكنه قطعًا سيكف عن التحرش بعابري السبيل...

وبدأت أنسى الأمر تدريجيًا.. لكنه بالتأكيد زارني في أحلامي مرارًا.. كنت أراه تارة برأس مهشّم.. وتارة ببطن مبقور.. فأنا لا أعرف كيف مات إن كان قد مات حقًّا...

وجاءت لحظة مواجهة المشرحة التي بدأت بها قصتي..

كنت جالسًا وسط زملائي أتامل صفحات كتاب (كننجهام) البراقة.. وأصغي لما يقول قائد المجموعة بصوته الرفيع المبحوح..

كان يشرح الساق.. لهذا لم أحاول قط - ولم أرغب - أن أرى وجه الجثة التي يتم الشرح عليها.. كنت متبلد الشعور بشكل غير عادي.. فلم تطف بخيالى تلك

الخواطر المألوفة عن الموت والحياة..
كنت أشعر أنّ هذه الجثة مجرد جهاز تالف نفتحه لنرى كيف كان يعمل.. ولا شيء سوى الحظ يمنعني أنا من أن أكون الجثة ويكون المتوفي هو طالب الطب..

لكن طالبة حمقاء قالت شيئًا ما عن الرأس المصاب للفقيد.. فرفعت عيني في خمول وتأملت ما تتكلم عنه.. ثم عدت أتابع الشرح وأتفحص عضلات الساق..

مهلًا! لقد أثار شيء ما اهتمامي في هذا الوجه...

عدت بعيني إلى أعلى.. كان هناك رأس... لقد صبغه (الفورمول) بلون الصلصال القاتم لكنّ ليس عسيرًا أن تدرك

أن المتوفى ذو شارب.. ذو شعر أسود فاحم.. وشامة على الخد الأيمن.. عيناه مفتوحتان تقولان إنّه كان ذا نظرات حادة شرسة..

وكان الرأس مهشّمًا عند الفود الأيمن..

- «معذرة!»

في أدب أزحت الجالسين حولي.. واتجهت متثاقلًا إلى النافذة.. كنت في حاجة إلى هواء نقي..

شريف:

هل تعني أنه هو ذات الرجل؟

عصام:

بالتأكيد هو.. لقد أسميته (العابر) في خواطري الخاصّة..

شريف:

لكن كيف؟ لا بد أن أهله استردوا جثته..

رفعت:

ليس دائمًا.. لو لم يكن يحمل أوراقًا وقت وفاته.. ولو لم يتعرفه أحد.. عندها يُعتبر ناقص الأهلية وينقل إلى مشرحة كلية الطب.. إن الاحتمال وارد للأسف..

عصام:

لم أكن أعرف هذا.. كان تأثير رؤيتي وجهه أقرب إلى تأثير المشي فوق كابل من كابلات الجهد العالي.. ولا بد أنكم تفهمون سبب ذلك..

(رفعت) (كمن تذكر شيئًا):

لحظة يا دكتور.. هل (عصام) هو اسمك الحقيقي؟

عصام:

بالطبع.. ولماذا تسأل من جديد؟

رفعت:

أحاول استنتاج نهاية القصة.. فلو كنت قتلته حقًّا لما ذكرت اسمك الحقيقي...

عصام:

وما يدريك؟ لعلى أعترف طلبًا للعقاب وتخففًا من سر أضناني؟ على كل حال لن أخبرك بنهاية القصة إلا حينما تحين نهاية القصة.. يقولون إنك سريع الملل يا د. (رفعت).. وعجول جدًا.. يبدو أنهم على حق..

رفعت:

إذن.. أكمل كلامك...

عصام:

لك أن تتصور مدى هلعي ورعبي.. لم أنم ليلتها ولا في الليالى التالية.. كنت هناك.. في قاعة مظلمة تفوح فيها رائحة (الفورمول).. وعلى منضدة من مناضدها يرقد ذلك الرجل.. وعيناه لا تفارقان وجهي.. أينما ذهبت.. شرقًا أو غربًا.. شمالًا أو جنوبًا..

دائما يرنو لي بتلك النظرة الحادة وعيناه لا تطرفان.. تقولان بصوت عالٍ برغم كونه غير مسموع: أنت قتلتني**!**

لن أحكي لك عن المرّات العديدة التي اقتحم فيها حجرة نومي ليوقظني من النوم.. وفي كلّ مرّة كنت أملأ الكون صراخًا.. ثم أهدأ.. وأعرف أنه لم يأت قط.. إنّه مازال ينتظرني هناك...

رفعت:

لا أتوقع أنك صرت من المتفوقين في علم التشريح؟

(عصام) (في سخرية مريرة):

من يتحدث عن التشريح؟ إنني لم أضع قدمًا في المشرحة لمدّة ستة أشهر كاملة.. وكنت أقضي ساعات الدرس في الكافتريا.. أدخن وأرمق السقف.. وأتعرف

الفتيات لأحدثهن عن النظام المحكم المسيطر على هذا الكون..

رفعت:

لكن المشكلة قد انتهت سريعًا دون شك.. فالجثث لا تظل جثثًا..

عصام:

هذا حق.. فمع مرور الوقت يغدو التعرف مستحيلًا.. وتستحيل الجثة إلى قطع متناثرة في كل صوب..

كانت نهاية العام الدراسي قد دنت.. وجرؤت على دخول المشرحة فلم أر إلا أشلاء على كل منضدة.. فهذه ذراع تمزقت أوتارها.. وهذا قلب شقوه بالطول.. وتلك رئة.. وهذا شريان أورطي ملقىً كخرطوم

قديم على منضدة التف حولها الطلاب متكالبين؛ كأكلة لحوم البشر حول (ليفنجستون) رحمه الله[5].

لم يعد (العابر) هنا.. وانتهت متاعبي..

رفعت:

سؤال يتعلق بالأخلاق.. لماذا لم تبلغ الشرطة بمخاوفك؟

عصام:

لم أكن واثقًا مما يحدث.. فهناك احتمال ألا يكون نفس الرجل.. وإذا كان هو فلربما لست المسئول عن وفاته.. ثم إن شخصًا حساسًا مثلي يمقت الشرطة ويهابها بالتأكيد.. سمه الجبن أو الهرب من المسئولية لو أردت.. لكني لم أفعل....

رحت جاهدًا أحاول اللحاق بما فاتني.. وحشرت في رأسى - كمن يحشر الثياب في زكيبة ـ مئات من أسماء العضلات والشرايين والأعصاب.. لكني كنت أصطدم بأشياء غير معتادة حقًّا...

فحينما كنت أدرس تشريح الرأس كنت أبحث جاهدًا عن رأس يصلح.. وأسأل العامل ـ مع نفحة مالية مناسبة لشراء الدخان - عن رأس في حالة معقولة..

(وكل عمال المشارح يخفون أشياء كهذه لمن يدفع ثمن الدخان لهم من الطلبة)..

عندها كان الرجل يهز رأسه في فهم.. ويخرج لي من الثلاجة رأسًا له شعر فاحم وشامة على خدها.. وله نظرة حادة!

اتفقت مع زميل لي على أن يقوم بتشريح الرأس ليغير معالمه تمامًا.. لكني عندما أدرس تشريح الساعد كنت أجد ساعدًا له شعر فاحم كث..

ولا يصعب عليّ استنتاج صاحبه..

لقد تضاعفت المشكلة.. فبعد ما كنت أهاب شيئًا واحدًا غدوت أهاب عشرات الأشياء المبعثرة هنا وهناك..

دعاني بعض الأصدقاء إلى جلسة في دار أحدهم.. وكان الهدف هو دراسة تشريح المخ.. وبالطبع يتم التدريس على مخ ابتاعه أحدهم من عامل المشرحة النهم إلى الدخان دائمًا.. كلهم يفعل هذا..

فما إن جلست وأخرجوا المخ من كيس بلاستيكي صغير؛ حتى أدركت أنّ هناك تهتكًا واضحًا في الفص الصدغي الأيمن..

- «لا بد أنّ هناك من ضربه على هذا الفص فقتله!»

قالها أحدهم وهو يمصمص شفتيه حسرة على ضياع ماله في عينة فاسدة كهذه.. أمّا أنا فقد وصلتني الرسالة كاملة..

واعتذرت لهم وغادرت المكان...

شريف:

الخلاصة أنه جعل حياتك جحيمًا...

عصام:

كنت أقضي اليوم حائرًا ما بين التفكير في هجر الكلية.. أو تسليم نفسي للشرطة..

أو الانتحار.. لقد كان انتقام (العابر) كاملًا محكمًا..

ثم.. أذكر تاريخ ذلك اليوم جيدًا...

كنت في المشرحة أعوض ما فاتني.. وكان الوقت عصرًا وهو وقت هادئ مناسب جدًّا للتحصيل.. إن العامل يبقى المكان مفتوحًا إذا أنت راعيت حاجته للدخان...

رفعت:

كل هذه الأموال الطائلة من أجل الدخان! حتى لو كان يدخن سيجار (هافانا) فلا أحسبه بحاجة إلى هذا المال...

عصام:

لا أدري كيف مر الوقت.. لكنى أفقت من تركيزي لأدرك ـ فجأة ـ أنني وحيد جدًا.. والمكان صامت جدًا.. والضوء قد بدأ يخفت حتى ليدخل في دائرة الظلام...

انتابني القلق.. لم لا؟ إن شيئًا ما غير مريح في كل هذا..

واتجهت إلى الباب وناديت العامل مرة أو مرّتين فلم يرد...

امتدت يدي في قلق إلى المقبض.. جربت فتحه.. عندها أدركت أن حدسي كان صائبًا.. لقد سجنت ها هنا!

لا بد أن العامل كان شارد الذهن.. أو ذهب ليبتاع بعض الدخان.. المهم أنه أوصد الباب بالمفتاح..

وهأنذا وحدي في هذا المكان المريع بانتظار الظلام!

إنّه لموقف رهيب نوعًا بالنسبة لأي طالب آخر. أما أنا فلست كالآخرين.. أنا أعرف ما يوجد في هذا المكان جيدًا...

لقد سنحت له الفرصة أخيرًا ولن يتركها...

وقف شعر رأسي حينما سمعت صفيرًا.. ثم صريرًا..

ثمة ما يتحرك في هذه القاعة..

نهضت كالملهوف وضغطت زر الضوء.. الضوء الحكومي الشاحب ينبعث ملولًا من مصباح واهن معلق في السقف..

كانت المناضد كما رأيتها صباحًا وعليها الأشلاء.. من المستحيل تبين ما كان يخص (العابر) منها وما لم يكن له..

هنا حدثت الطامة الكبرى....

لقد انقطع التيار الكهربي..

وكان الظلام قد توغل إلى حد جعل الرؤية مرهقة بالفعل.. لكنّ الهلع الذي استبد بي جعلني أرى آلاف الأشياء في هذا الظلام...

رأيت ذراعًا مخلبية تتحرك على الأرض صوبي..

رأيت عينين حادتين ترمقاني في حقد وتحد..

رأيت شاربًا أسود يتحرك ذاتيًا على الجدار..

انتهى التعقل وجاء وقت الجنون.

ودون كلمة ولا صرخة اندفعت نحو النافذة...

كانت المشرحة في الطابق الثاني لكني لم أبال..

وثبت من النافذة وثبة حصان جموح.. ونجحت الأشجار في تخفيف سقطتي.. لكني هويت على ركبتي فكدت ـ أو ربما فعلت ـ أهشمها.. وبرغم الألم رحت أركض لاهثًا.. مغمغما بكلمات لا معنى لها.. مترنحًا.. قاصدًا الباب الرئيسي

للكلية.. وفؤادي يخفق كجناح عصفور طنان..

ورحت أركض في الشوارع المظلمة أرمق أضواء السيارات الباهرة وأقول كلمات لا أفهم ما أعنيه بها..

الخلاصة أنني جننت...

رحت أجتاز الأزقة المظلمة نحو داري.. وأنا أرى الرجل في كل صوب من حولي.. واسمعه يقهقه في وحشية من ذعري..

هنا اصطدمت بعابر سبيل في الظلام...

كدت أواصل طريقي لكنه سبّني في فظاظة.. وقال شيئًا ما عن الحيوانات العمياء.. فتوقفت ونظرت إليه مشدوهًا...

الشعر الفاحم... الشارب.. النظرة الوقحة.. الشامة على الخد الـ.. الأيسر لا الأيمن.. إنّه هو! لا لم يمت...



وعندها تأكد لي أن اختلافًا كبيرًا يوجد ما بينه وبين (العابر) في المشرحة.. إنها ذات الصفات لكنّها لا تعني تشابه الرجلين.. لقد اعتدت شكل (عابر) المشرحة حتى نسيت وجه الآخر تمامًا.. وبشكل ما أقنعت نفسي

بأنهما لذات الرجل.. لكني الآن أدرك خطئي.. إن الرجل الذي تشاجرت معه وأوقعته هو الماثل أمامي الآن.. ومن الواضح أنه لم يمت.. أما من رأيته في المشرحة ونغص حياتي عامًا كاملًا فهو مجرد شاب آخر له شارب وعينان حادتان...

هنا لمحت نظرة تذكر في عين الرجل.. وبشك هتف:

- «أنت! هل التقينا من قبل؟»

قلت كاذبًا:

- «لا...»

وأدرت وجهي مبتعدًا..

- «انتظر!»

صاح بي.. لكنى أطلقت لساق العنان..

لا أريد صدامًا مع هذا الرجل بالذات..

هو يريد الانتقام من الجرح الذي أصبته به يومًا.. لكنه لا يدري أنه قد نال هذا الانتقام بالفعل.. وأنه ـ لعام كامل - جعلني على حافة الجنون.. بل إنني لم أدن من الانتحار هذا الدنو قط...

وهكذا انتهت هذه القصة.. ولا أدري ما تعليقك عليها يا د. (رفعت)..

شريف:

نحن شاكرون لإسهامك يا د. (عصام).. ويمكننا الآن أن نسمع د. (رفعت).

رفعت:

لا يوجد ما يُقال.. فهي قصة نموذج لـ (الرعب الموجه في اتجاه خطأ).. ثم إنها ترينا كيف أن عقدة الذنب تستحوذ على العقل الباطن فتجعله يرى ما لا وجود له.. ولم يجد العقل الباطن هنا سوى المشرحة مكانًا للجثث.. عندئذٍ لا بد أن تظهر جثة من تظن أنك قاتله.. إنها ألاعيب (الأنا العليا) العتيدة...

شريف:

وما الذي نتعلمه منها؟

رفعت:

أكره لي أعناق القصص للحصول على مغزى ما.. ربما كان المغزى هنا هو: (إن كان لك شارب مثل شاربي فليس معنى هذا

أننا نفس الشخص).. أو: (لاتقتل عابري السبيل في الأزقة ليلًا لأنّهم يعودون دائمًا).. أو: (إن عاملي المشرحة جميعًا يختفون في الوقت غير المناسب).. هل هذا كاف؟

عصام:

ثمة إضافة أخيرة عرفتها مؤخرًا.. يتحدث سكان الأزقة التي كنت أجتازها عن شبح شاب ذي شارب أسود.. وشامة على خده.. يقولون إنّه يقطع الطريق على من يعبرون الزقاق ليلًا....

رفعت:

حقًا؟

عصام:

يقولون إن هناك من قتله في هذا المكان منذ أعوام!

رفعت:

إنـها لمصادفة طريفة حقًّا....

عصام:

ألا ترى شيئًا غريبًا في الموضوع؟

رفعت:

بلى.. أن الأشباح ذوات الشوارب قد ازداد عددها مؤخرًا....

شريف:

هل تعنـي أنـه نفس الشخص؟

عصام:

هل ترى رأيًا آخر؟

رفعت:

يريد القول إن (العابر) قد مات حقًّا.. وإنه في تلك الليلة اصطدم بشبحه.. وفي كلا الحالتين ـ الصواب أو الخطأ - لا يوجد شيء من الصحة لمخاوف المشرحة.. إنني أنصحك يا دكتور نصيحة واحدة.. انس الموضوع برمته.. وتغلب على ولعلك الشديد بالمشي في الأزقة ليلًا.. هذا هو كل شيء.. إن حياتك تنتظرك ولا داعي لإضاعتها في تساؤلات لا جدوى منها.. وإلا فعليك أن تتوجه لأقرب قسم شرطة لتخبرهم بما تظن أنك فعلته منذ أعوام...

بالمناسبة.. أعتقد أن اسمك ليس (عصام) حقًّا... الآن تأكدت من هذا.. وإلا لوجدت

كل شرطة المدينة في دارك بعد عشر دقائق..

عصام:

أنت محق.. ليس اسمي (عصام)..

رفعت:

إذن عمت مساء يا من لست (عصام)..

الفتى:

عمت مساء سيدي.. وشكرًا على إنصاتك....

❋ ❋ ❋



الحلقة الثالثة

فكرة غير عادية

يحكيها : م. محمد عثمان

الحلقة الثالثة
(فكرة غير عادية)

يحكيها: م. محمد عثمان

«توجد طريقة واحدة لتقتل شخصًا يغلق الحمام على نفسه من الداخل.. إن هذا سهل جدًّا.. كما أنّ معرفة القاتل ليست مستحيلة..»

المقـدمــة

شريف:

صباح الخير سيداتي سادتي.. (شريف السعدني) يحدثكم على الهواء مباشرة من ستوديو (٨).. ومعي هاهنا د. (رفعت إسماعيل) الذي سيستمع معي إلى حكاياتكم ويناقشها ويقترح حلولًا لها.. (صوت أوراق).. جاءني خطاب من (ع.م.ع) يقول فيه إنّه يمقت الكلام في الهاتف ويرغب في أن نحل مشكلته المقروءة لا المسموعة.. وقد فعلنا ذلك.. فليتفضل د. (رفعت) بالإجابة..

رفعت:

لا تفعل يا (ع.م.ع).. أرجوك ألا تفعل... هذا هو ردي!

شريف:

ألن تشرح مشكلته للمستمعين؟

رفعت:

إنه لا يهوى الثرثرة وأنا كذلك.. وعلى كل حال إذا كان يريد حلًا لمشكلته فقد وصله هذا الحل كاملًا غير منقوص.. لا أعتقد أنه من هواة الشهرة...

شريف (في ضيق):

لكن المقصود من هذا البرنامج هو....

رفعت:

ليكن.. إن (ع.م.ع) يعتقد أن ثلاجته ألمانية الصنع مسكونة! هذا يحدث كثيرًا جدًا مع الثلاجات المصنوعة في ألمانيا ـ لا بد أنها روح البارون (لودفيج) أو أرشيدوق النمسا ـ لهذا نصحته ألا يحتفظ بها.. إن الثلاجات المصنوعة في مصر لا بأس بها وغير مسكونة غالبًا.. هل هذا كاف يا (شريف)؟

شريف:

ولكن هذا سخيـ....

(رنين الهاتف)..

آلو.. هنا برنامج (بعد منتصف الليل).. من معي؟

صوت رجل في منتصف العمر:

أنا (محمد عثمان).. مهندس من القاهرة.. متزوج وأب لطفلين... هل د. (رفعت) معك هاهنا؟

رفعت:

بالتأكيد يا سيدي.. فلا شيء يقدر على إزالتي من الوجود عدا الموت..

محمد:

أنا الآن وحدي في الدار.. إن زوجتي والأطفال عند حماتي... يبدو أنها واحدة من تلك المشاجرات العائلية التي تحدث دومًا ولا تنتهي بالطلاق أبدًا..

رفعت:

أفهم ما تعنيه.. إن الطلاق شيء درامي جدًا.. وعنيف جدًا.. إن من يطلقون شركاء

حياتهم شجعان جدًا أو حمقى جدًّا.. أي أنهم يختلفون عني وعنك..

محمد:

لا أفهم تعبيراتك الملتفة هذه.. كل ما أعرفه أنها تطلق على الآن نعوتًا مشينة.. فلا بد أنها تسمع ما نقول حالًا.. لكنّ هذا ليس هو سبب اتصالي.. فالنساء دومًا غاضبات يرين أن أزواجهنّ حمقى على طول الخط.. لا عليك.

سأحكي لك يا د. (رفعت) حكاية عن مسابقة في مجلة..

رفعت:

غريب! لا أقابل قصصًا كثيرة تبدأ بمسابقات في مجلات...

محمد:

مجلة تافهة هي.. تحوي بابًا على غرار (فكر واربح) أو (للأذكياء فقط).. المهم أنّ هذه المجلة التعسة وقعت في يدي منذ ثلاثة أشهر.. ورحت أقلب صفحاتها.. إليَّ أن وجدت هذا الباب وفيه وجدت هذه المعضلة الذهنية:

المفتش (سراج) - هذا يدلك على أن للمعضلة أصلًا أجنبيًا - هو رجل شرطة ذكي لا يفوته شيء.. يتم استدعاؤه إلى مسرح جريمة قتل في ذلك اليوم الممطر.. هل أنت معي؟ حسن...

القتيل كان في الحمام.. وقد قلقت زوجته عندما عادت للدار فلم تجده.. وقرعت باب

الحمام الموصد من الداخل فلم يرد عليها.. استعانت بالبواب واستطاعا أن يقتحما الباب.. وكان هذا كافيًا لتنطلق في الصراخ فلا تهمد أبدًا كصفارة إنذار الغارات...

هو ذا زوجها المحاسب الذي أتم عامه الأربعين منذ أيام، ممددًا في حوض الاستحمام وقد غاب أنفه تحت الماء تمامًا.. ولم يكن الأمر يحتاج إلى (قومسيون) طبي لمعرفة إن الرجل ميت...

وجاء رجال الشرطة وقالوا إن الحادث نجم عن نوبة قلبيّة أو إغماءة أو اصطدام الرأس بالبانيو.. المهم أنّ هذا أدى إلى غرق المحاسب.. إن هذه الأشياء تحدث دائمًا.. ولا تستدعي سوى الحزن فنسيان الموضوع...

وحتى هذه اللحظة يظل اسمه (المتوفى) لا (القتيل)..

وهنا يصل عمنا الكبير المفتش (سراج) ليرى ـ كالعادة ـ ما لم يره الأغبياء الآخرون.. ويزيد الأمور تعقيدًا..

فهو يلاحظ آثار مقاومة في جسد المتوفي. ويلاحظ أن المنشفة ملقاة في ركن، وقطعة الصابون في ركن.. وأن الفوضى التي تجتاح الحمام توحي بوجود صراع.. هنا ـ ككل مفتشي القصص - يشعل سيجاره في حنكة.. ويضيق عينيه مفكرًا.. لماذا ومع من تشاجر المتوفى؟ هناك من تعمد أن يغرقه في حوض الحمام.. وبالتالي يمكننا يا سادة أن نتحدث عن المتوفى باعتباره (القتيل) ونعتبر ما حدث جريمة قتل..

هنا يفغر الكل أفواههم في غباء.. ويقول أحدهم:

- «لكنّ هذا مستحيل يا سيدي المفتش.. لقد كان الحمام موصدًا من الداخل.. ثم إنّه لا توجد نوافذ فيه.. هذا يجعل دخول شخص آخر مستحيلًا.. ولو حدث لوجدنا الباب مفتوحًا..»

هنا يقول المفتش في ثقة وهو يتأمل وجوه الواقفين:

- «بالعكس.. توجد طريقة واحدة لقتل شخص وحيد يغلق الحمام على نفسه من الداخل، إن هذا سهل جدًا.. كما أنّ معرفة القاتل ليست مستحيلة»

وهنا توجه المجلة سؤالين إلى القراء:

(أ) كيف تمت الجريمة؟

(ب) من هو القاتل؟

عزيزي القارئ.. أرسل لنا الحل مع عنوانك لتفوز بجائزة قيمة هي ساعة يد[6] الحل ينشر بعد أربعة أعداد...

رفعت:

بالنسبة للشق الثاني من السؤال أعرف أن الزوجة.. هي القاتل

شريف (بانبهار):

كيف عرفت؟

رفعت:

لا توجد شخصيّة سواها في القصة**!**

محمد:

دعنا من هذا الشق.. إن أي طفل يمكنه إدراك ذلك.. لكنّ الشق الأول هو المشكلة الحقيقية..

وكنت وقتها بحاجة إلى تحد عقلي.. وقبل هذا كنت أريد ساعة يد محترمة.. لهذا قضيت الليل بطوله أراجع فقرات اللغز.. وأبحث عن الحل بين الحروف..

رفعت:

في هذا النوع من القصص يكون هناك شيء ما متعلق بالأمطار أحد الأبطال غير مبتل.. أو يتعلق بالمقعد الذي تغير موضعه.. أو....

محمد:

لا شيء من هذا.. لقد توقعت هذا كله وبحثت عنه.. لكنّ لا جدوى.. وفي الصباح رأت زوجتي احمرار عيني والخطوط المتشابكة التي رسمتها في ورقة، فظنت أنني جننت أو أخطط لسرقة بنك..

لكنى واصلت رسم أشكال تخطيطية للموقف.. وعندما جاء المساء دخلت الحمام وأحكمت إغلاقه على نفسي.. توجد نافذة لكنّها مستحيلة الفتح لحسن الحظ.. ورحت - جالسًا على طرف حوض الاستحمام - أفكر في الوسيلة التي يستطيع بها أحدهم الدخول إليّ في هذا السجن..

رفعت:

لا يوجد حل على ما أظن.. ما لم تكن الرجل الخفي أو كتلة من الطاقة.

محمد:

بالعكس.. كان هناك حل.. وقد وصلت إليه في الساعات الأولى من الصباح.. ودهشت لغفلتي السابقة.. إن الحل أبسط مما توقعت.. لكنه حل عبقري.. وعلى الفور رحت أخط إجابتي على ورقة وضعتها في مظروف وأرسلتها إلى المجلة.. ورحت أنتظر اسمي بين الفائزين في الأعداد القادمة..

رفعت:

لا بد أنّ هذا حدث مادمت تعرف أننا في الواحدة صباحًا.. لقد نلت الساعة إذن!

محمد:

كلا.. صدر عددان من هذه المجلة المنحوسة ثم توقف صدورها لأسباب اقتصادية تتعلق بسعر الورق وانخفاض معدل الإعلانات.. إلخ...

ثم دارت بي الحياة، وبدأت في المشاجرات مع زوجتي، وحضور جلسات الصلح مع أسرتها، ولم تكن أعمالى على ما يرام، وأصيب أحد أطفالي بحمى شوكية كاد يقضي بسببها لولا عناية الله..

كل هذا كان كافيًا لكي أنسى الموضوع بكل تفاصيله...

إن مشاكل الحياة غيلان تلتهم كل طيور الإبداع أو الترف الفكري في عقلك..

يقولون إن معاناة الفنانين تجعلهم يخلقون فنًا أصيلًا.. لا أظن.. ما كان (باخ) ليقدم لنا رائعة من روائعه لو أنّ زوجته سليطة اللسان وابنه في شبه غيبوبة مخية.. أردت القول إن لغز الحمام هذا تراجع إلى مؤخرة اهتماماتي.. تراجع تمامًا...

ثم.. حدث ما أعاده إلى ذهني بقوّة..

كان هناك خبر في صفحة الحوادث بإحدى الصحف يقول.. ولكن.. دعني أقرأه عليك وقل لي ما تستخلصه منه (صوت حفيف أوراق)..

«تغرق في الحمام إثر أزمة قلبيّة..»

«كتب فلان الفلاني: توفيت زوجة في الثلاثين من عمرها في أثناء استحمامها،

كانت المتوفاة قد أوصدت باب الحمام عليها من الداخل وبدأت في أخذ حمامها اليومي، حين سمع زوجها (فلان) صرختها، فتعاون مع الجيران على اقتحام باب الحمام، حيث تبين لهم أن الزوجة قد غرقت في البانيو، وانتقل إلى مكان الحادث كن من العقيد (فلان) والنقيب (فلان)، ويرجح رجال الشرطة أن السيدة قد أصيبت بأزمة قلبيّة جعلت رأسها يسقط تحت مستوى الماء، ولم تتمكّن من الاستغاثة لأن الحمام كان موصدًا عليها»

ما رأيك في هذا؟

رفعت:

لا ينقص الأمر سوى مفتشك (سراج) هذا...

شريف:

هل تعني أن المصادفة قد لعبت دورًا؟

رفعت:

ربما.. فالناس يموتون في البانيو منذ اخترعه الرومان وحتّى اليوم.. وسوف يظلون يموتون فيه حتى تقوم الساعة.. إن هذا ليس دليلًا على شيء..

محمد:

أنا أيضًا قلت ذلك لنفسي.. لكنّ اسم زوج الفقيدة بدا لي مألوفًا..

مألوف إلى حد غريب..

وسرت القشعريرة في جسدي حين تذكرت أين قرأته.. إنّه سكرتير تحرير تلك المجلة التي أفلست! إن هذا يجعل الفرصة شبه معدومة في أن يكون ما حدث صدفة...

رفعت:

لحظة.. هل تظن أنه قد؟

محمد:

حتمًا.. على كل حال.. بحثت عن اسمه في دليل الهاتف.. وعرفت أنه يعمل حاليًا في دار نشر كبيرة.. وقررت أن أذهب لأراه هناك.. فالفضول كان جامحًا لدي كي أفهم اللغز...

رفعت:

لحظة.. لم تقل لنا حل لغز المجلة بعد..

محمد:

لا تسخر مني حين أقول إنني كنت قد نسيته تمامًا.. نعم.. هذا ممكن.. لقد وجدت الحل بعد إرهاق عقلي كبير وبعد منتصف الليل.. ثم إنني غرقت في المشاكل بعد ذلك.. دعك من أنني أرسلت الخطاب بمجرد استيقاظ من النوم فلم أعد قراءته.. لقد كان الحل عبقريًا سهلًا ممتنعًا.. وباءت كل محاولاتي بالفشل كي أجده بعد ما ضاع مني.. كانت لحظة إلهام كإلهام الشعراء سرعان ما تفنى وتذوب..

شريف:

لنعد لقصتنا..

محمد:

طلبت مقابلة الرجل ودخلت مكتبًا فاخرًا يجلس خلفه ثور آدمي ذو خوار.. وكان يرتدي ربطة عنق سوداء على سبيل الحداد فهو أرمل (متماسك).. أرمل حديث العهد بالترمل..

صافحته وعرفته نفسي.. وعزيته على فقدان زوجته.. بدا مندهشًا لإلمامي بدقائق حياته وهو لم يرني قط..

ذكرته بالمجلة التي كان سكرتير تحريرها، وبأني كنت من قرائة شديدي النهم.. فأبدى سرورًا.. وقال إن توقف صدور المجلة خسارة فادحة.. لكنه سعيد

بعمله في دار النشر هذه التي تلقفت خبراته ونشاطه قبل أن يحاول الآخرون..

ثم إنني دخلت في الموضوع مباشرة...

سألته عن مسابقة الحمام التي نشرتها مجلته قبل إفلاسها بأسبوعين.. قلت له إنني حللت اللغز وأرسلته لهم...

بدا كمن يتذكر.. ثم ضحك متهكمًا لتفاهة اهتماماتي.. وقال:

- «الأمر كله كان دعابة.. لغز وجدته في مجلة أمريكية فقمت بتعريبه ونشره بعد تحويل المفتش (إيلري كوين) إلى (سراج)..»

- «والحل الصائب له؟»

قال بنفس الابتسامة الودود:

ـ «لا أعرفه! لم تنشر المجلة الأمريكية حلًا.. ولم أكن أعتمد على شيء سوى على رسائل القراء.. فمن يقدم حلًا يقنعني يفز..»

ثم تنهد.. وقال:

- «على كل حال.. لم يتسع الوقت لنشر الحلول.. ولم يصلني سوى ثلاث خطابات أو أكثر قليلًا.. ولا بد أنها جميعًا تحوي حلولًا غبية»

ـ «حلي لم يكن غبيًا.. ولو سمحت لي بإحضار خطابي....»

قال في سأم وقد أدرك أنني لن أقدم له سوى الثرثرة:

- «لم تعد هناك خطابات.. لقد أحرقنا الأوراق قبل أن نغادر مقر المجلة للأبد.. إنها صفحة قد زالت من حياتنا.. وهاك صفحة جديدة»

ثم ابتسم ونظر لي نظرة مناشدة أن أرحل فقد طال الوقت..

وافترقنا صديقين على ما أظن.. لكني لن أنسى إحساسي بنظرته الثاقبة في مؤخرة عنقي حين أدرت ظهري له..

رفعت:

أه! ذلك الخوف العديد من الأشخاص الودودين أكثر من اللازم...

محمد:

هو ما تقول.. لقد كان يظهر عكس ما يبطن حتمًا..

بعد هذا بدأت المطاردة....

مطاردة في شارعي.. في عملي.. في الحافلة.. دائمًا أجد ذلك الثور الآدمي يحاول أن يتظاهر بعدم رؤيتي.. لكنه يراقبني من بعيد.. من وراء عامود نور أو صفحات جريدة أو كتف عجوز يقف أمامه في الحافلة.. عيناه تنمان عن شر بهيمي..

وحين تلتقي عينانا كان يعود لارتداء قناع المودة البشوش.. فيضحك في رقة - لو كانت الثيران تضحك في رقة - ويقول لي كم أن الحياة حبلى بالمصادفات.. و. (مصير الحيّ يتلاقى)..

رفعت:

لابد أن العبارة الأخيرة كانت تجمد الدم في عروقك..

محمد:

حتمًا.. فهي تحمل من التهديد قدر ما تحمل من الانبهار بالمصادفات..

شريف:

وكيف عرف عنوانك؟

محمد:

هل نسيت أن عنواني مدون في خطاب المسابقة؟

رفعت:

إذن فلنرتب أفكارنا.. أنت تعتقد أن الرجل قرأ خطابك؟

محمد:

بالتأكيد.. وراقت له الفكرة التي حللت بها المعضلة..

رفعت:

بالتالي قرر استعمالها مع زوجته لأن الشرطة لن تفكر لحظة في كون الحادث اغتيالًا.. من يدري؟ ربما نشر اللغز في المجلة طالبًا اقتراحات القراء بخصوص الأسلوب الأمثل لقتل زوجته..

محمد:

وربما فكر في الأمر بعد قراءة خطابي.. إن النتيجة واحدة هي أن الزوجة قد قلت

بأسلوب من ابتكاري..

رفعت:

ذلك الأسلوب الذي لا تذكر منه حرفًا..

محمد:

نعم.. ولهذا يملك الرجل كل الأسباب التي تدفعه إلى الخلاص منيٍ أو إسكاتي، وأراهن على أنه يراقبني بحثًا عن فرصة..

رفعت:

لماذا لم تقابل رجال الشرطة؟

محمد:

فعلت وحياتك.. ذهبت إلى مديرية الأمن وحكيت لهم شكوكي.. لكني بدوت بالنسبة لهم مخبولًا أو مبتذلًا.. فما هي علاقتي

بطرفي الحادث؟ وما هي مصلحتى في الإبلاغ وأنا لا أعرف مجرد اسم الزوجة؟ ثم كيف يمكن قتل شخص في غرفة موصدة من الداخل؟! قلت لهم إنني وجدت الحل..

قالوا لي أن أثبت لهم كيف يتم هذا...

هنا ازداد موقفي سوءًا لأني اعترفت لهم بأنني نسيت.. لكن بدا لهم كلامي سخيفًا ومبتذًلا! ونصحوني بالكف عن هذا الهراء قبل أن تتحول النصيحة إلى عقاب قانوني صارم...

وزاد الأمر سوءًا أنني حين هبطت في درج مديرية الأمن، لمحت على الرصيف المقابل ثورًا ذا خوار يتظاهر بأنه يمشي

مصادفة ـ لو كانت الثيران تمشي مصادفة ـ في هذا الشارع بالذات..

لقد رآني**!**

والمعادلة السهلة تتضح في ذهن الثور تدريجيًا:

أنا صاحب الحل **+** خبر موت الزوجة **+** سؤال عن الخطاب **+** مديرية الأمن **+** كارثة**!**

كارثة يمكن تلافيها بشيء من الجهد الجاد.. والدم طبعًا**!**

رفعت:

الحل الوحيد هو إثبات كلامك لنا ولرجال الشرطة..

محمد:

وهذه هي كارثة الكوارث.. لقد سهرت ليلتين أو ثلاثًا في داري أحاول العثور على حل دون جدوى..

كان من حسن حظي أن زوجتي رحلت مع الطفلين غضبي كعادتها.. هي تحسب أنها بهذا تحرمني من نعمة وجودها، في حين أنها تقدم لي أغلى نفائس العالم: الهدوء.

وهكذا ـ وحيدًا في الدار ـ أحكمت غلق الأبواب، ورحت أعيد التفكير في حل لهذه المعضلة..

المحاسب غارق في بانيو الحمام.. الباب موصد من الداخل.. لا توجد نوافذ.. كيف يمكن الوصول إلى هذا الرجل؟



رفعت:

ربما لو كان الحمام مغلقًا بكالون (لاتش) يفتح بمفتاح من الخارج..

شريف:

لا أحد يغلق باب الحمام بكالون (لاتش).. كل الناس تستعمل المزلاج.. أفكر في

احتمال وجود باب سرّي للدخول والخروج..

رفعت:

حتى في قصور (آل مديتشي) المشهورين بالمؤامرات؛ لم يخطر لعبقري سواك أن يصنع بابًا سرّيًا للحمام....

شريف:

المواد المنوّمة**!** لم لا؟ يدسّ في شرابك مادة منومة لا تعمل إلا بعد دخولك الحمام فتغفو ويسقط رأسك تحت الماء..

رفعت:

فكرة لا بأس بها.. لكنّ توقيت هذا مستحيل.. فهناك من يدخلون الحمام فور احتساء كوب العصير.. ومنهم من يتلكأ

بحثًا عن منشفة أو (باشكير).. أو لمجرد مقته للاستحمام.. ثم إن الطب الشرعي قادر بسهولة على تحديد أمور كهذه..

محمد (في عصبية):

اصمتا! إنكما توتران أفكاري.. كل هذا هراء وبعيد عن الحل الحقيقي.. إنني أحاول الدخول في عالم القصة.. لهذا أحدثكما من الحمام!

رفعت:

الحمام؟ كل هذه المكالمة؟

محمد:

لم لا؟ إن الهاتف مع ها هنا.. وقد أحكمت غلق الباب بالمزلاج من الداخل.. ولا توجد سوى نافذة واحدة موصدة بإحكام.. البانيو

ممتلئ بالماء.. كما أرجو لو تساعداني في حل هذا اللغز..

رفعت:

لا بد أن منظرك يشبه الأفلام الأمريكية القديمة.. فكل بطلات الإغراء كن يتحدثان هاتفيًا بينما هن في البانيو متدثرات بفقاقيع الصابون.. يالـ (هوليوود) هذه!

محمد:

أحاول أن أحرك القشرة الرمادية التي تخنق أفكاري.. أحاول.. أحاول.. الباب.. النافذة.. الباب..

رفعت:

قل لي يا (باشمهندس).. ألا ترى أن بقاءك وحدك خطر في هذه الأيام.. إذا

افترضنا جدلًا أن قاتل زوجته يحاول إسكات شاهده الوحيد؟

محمد:

بلى.. بلى.. لكني بحاجة إلى التركيز.. كف عن الكلام قليلًا.

شريف:

هذا أول متكلم يطالب الجميع بالصمت هاهنا..

محمد:

الباب.. النافذة... الـ... (صوت صرير).. هل... هل تسمعان هذا؟ يبدو أن توتري يجعلنى أسمع أصواتًا غير مألوفة.. و... (رفعت)! إنّه قادم! لقد استطاع التسلل إنّه يتحرك.. خلف.. خلف هذا الستار.

ثم.. لقد تذكرت! تذكرت الحل للمعضلة! لقد دخل بذات الأسلوب.. هيه! ابتعد عني! لآآآآآه!

رفعت (صوت صخب وعراك من الهاتف):

ثمّة ما يحدث هنا.. هل تظن أن؟ آلو! آلو!

(صوت ماء ينسكب.. حشرجة مختنق يحاول التنفس).

لقد هاجمه! دخل بالأسلوب ذاته إلى حيث اختبأ (محمد)..

لقد وضع هذا الأخير نفسه في وضع مثالي للقتل.. وبالطريقة التي ابتكرها!

شريف:

هل هل يمكننا عمل شيء؟

رفعت:

لا أدري إن مصدر المكالمة.... آلو!

(سكون تام.. ثم يضع أحدهم السماعة ليغلق الخط)..

لقد انتهى كل شيء.. وأظن أن الثور ذا الخوار نفسه هو من أعاد السماعة لمكانها وغادر المنزل كما جاء..

شريف:

هذا شنيع! لقد سمعنا أحداث مصرع المهندس بكل تفاصيلها..

رفعت:

على كل حال لقد مات بعد ما أشبع فضوله.. لقد تذكر.. أمّا نحن فلسوف

نحترق بنيران الفضول طيلة حياتنا، ما لم ننس هذه القصة في أسرع وقت....

❋ ❋ ❋



الحلقة الرابعة

الشقة رقم (9)

يحكيها : مجهول الاسم

الحلقة الرابعة
(الشقة رقم "٩")

يحكيها: مجهول الاسم

«لكنهم - جميعًا ـ لم يتكلموا.. ربما نظر أحدهم لك بعينين زائغتين وقال شيئًا ما عن (الشقة الدنسة).. ثم يصمت نهائيًا..

وكان هذا هو السؤال الذي أرقني دومًا..

ماذا يحدث في الشقة رقم (٩) عندما يحل الظلام؟»

المقـدمــة

شريف:

من جديد سيداتي سادتي نجلس جوار المذياع وأجهزة الهاتف.. لننعم بحلقة جديدة من برنامجكم (بعد منتصف الليل).. إن نجاح هذا البرنامج يعود لكم أنتم.. فأنتم تمدون آلة الرعب بالوقود الذي يجعلها تعمل فلا تتوقف أبدًا..

رفعت (يتنهد):

أعوذ بالله من الحمق**!**

شريف:

معنا هنا ضيفنا د. (رفعت إسماعيل).. إنّه يدمدم بعبارات غامضة لا أسمعها لكني أتوقع أنها تعبر عن الترقب.. الترقب الملهوف لقصتنا التالية..

(رنين الهاتف)..

هالو**!** (شريف السعدني) هنا.. من يتحدث؟

صوت فتاة:

مساء الخيغ**!** أنا (شيغين).. هل دكتوغ (غفعت) يسمعني؟

رفعت:

أنا أسمعك يا (شيرين).. وأرجو أن تسامحيني على نطقى الخاطئ للحروف..

شيرين:

كنت أعيد سؤالك يا دكتوغ.. لماذا لم تتزوج كط حتى الآن؟ هل أنت معكد أو شيء من هذا الكبيل؟

رفعت:

لو ترجمنا سؤالك عن لغته الفرنسية لقلنا إنك تتساءلين عن سر عدم زواجي.. وهل أنا معقد أم لا؟ لا أدري يا (شيرين).. أعتقد أنني لست معقدًا.. والدليل هو: هل تقبلين الزواج منى الآن؟

شيرين:

هكذا فوغًا؟

رفعت:

فوغًا يا (شيغين)..

شيرين:

لكن.. بسغاحة.. أنت لا تعغفني..

رفعت:

هذا سبب كاف لأعرفك أكثر.. ثم إن لديَّ ضعفًا تجاه الفتيات ذوات اللثغة..

شيرين:

لا.. لا**!** أنت أسلع وشكلك مغعب.. لقد كنت أمزح لا أكثغ.. باي باي**!**

رفعت:

وأنا كذلك أمزح يا **(**شيغين**)**.. باي باي**!**

شريف:

لقد أحسنت التصرف حقًّا.. لقد كانت تحاول التسلية..

رفعت (في رضا):

لقد أثرت هلعها.. فهي لم تتوقع أن أكون متحمسًا إلى هذا الحد.. ولكني - برغم كل شيء - لا أجد نفسي مرعبًا إلى الدرجة التي تصفها..

(رنين الهاتف)...

شريف:

آلو! من معي؟

صوت رزين خافت:

لا داعي للأسماء.. فليس هذا ناديًا للمراسلة على ما أظن.. إن عندي حكاية لا بأس بها لهذا البرنامج... فهل تسمعونها؟

شريف:

حتما.. ولكن أتمنى لو رفعت صوتك قليلًا..

الصوت:

لا أستطيع.. لدي أسبابي.. أنا أتحدث من الشقة رقم (٩) المبنى رقم (٢٠٣) في شارع.. لا. لن أقول الشارع...

رفعت:

لا أستطيع أن أجد سببًا مقنعًا يمنع ساكني الشقة (٩) في مبنى (٢٠٣) من رفع أصواتهم عند الكلام في الهاتف..

الصوت (يضحك في عصبية):

لأنني متسلل يا حضرة الطبيب العبقري... متسلل.. فليس هذا بيتي.

رفعت:

ولماذا تسللت أيها المتسلل الغامض؟

الصوت:

ثمة أسئلة لا يمكن الإجابة عنها إلا بالتجربة وسرد القصة كلها.. لقد ولدت في هذا الشارع يا د. (رفعت) وأعرف كل حجر فيه.. وكل خط بالطبشور على جدرانه..

ومنذ نعومة أظفاري وأنا أعرف أن الشقة رقم (٩) محرمة على الناس.. وأن بواب العمارة يقرأ آية الكرسي بشفتين مرتجفتين حين يصعد أو يهبط مارًّا أمام بابها.. وأن اطفال العمارة ممنوعون من اللعب أمام هذا الباب.. إنّه لتحريم يسمو إلى مرتبة القداسة الدينية.. وعقاب الطفل الذي يخالف ذلك قريبة جدًا من الإعدام...

رفعت:

أعرف.. كان هناك في المنصورة بيت (الخضراوي).. وكان يعامل معاملة شبيهة بهذه.. إن هذه الأماكن تتحول إلى (تابو) مقدس دائمًا..

الصوت:

إن السماسرة يحذرون الباحثين عن مسكن من هذه الشقة، مضحين بفرصة لا بأس بها للكسب.. صبي الكواء يأبى الصعود إلى الطوابق التي تعلوها.. أمّا من يسكنون تحتها مباشرة فلا يكفون عن الشكوى من أصوات الصراخ التي تنبعث من داخلها.. والمطاردات التي لا تنتهي بين أشخاص لا تدري من هم...

رفعت:

لا بد أنّ هناك حادث انتحار أو قتل تم في هذه الشقة منذ أعوام.. فالقصة هكذا دائمًا..

الصوت:

بل هي قصة أكثر تعقيدًا.. لقد كان هناك ـ في عام ١٩٤٦ - شاب يدعى (يوسف إسحق).. وهو صراف يهودي يعمل في أحد البنوك.. يقولون إنّه كان مهذبًا جدًا.. وديعًا جدًا.. ويعيش في هذه الشقة بالذات.. ولم يكن متزوجًا..

كان بعض الأصدقاء يزورونه من وقت لآخر.. ولم يكن أحد الجيران يشك في أمره بشكل خاص.. ففي تلك الأيام لم تكن حرب ٤٨ قد نشبت بعد.. والمصريون

معروفون بالتسامح الديني، فلم يكن لديهم عداوة خاصة تجاه اليهود.. كل ما هنالك هو أن الفتى بخيل أكثر من اللازم، معقوف الأنف أكثر من اللازم.. فيما عدا ذلك لا يوجد ما يريب بشأنه... لكن واحدة من الجيران لاحظت ملاحظة صائبة..

هناك من يزورون الفتى بمعدل ضيف في الشهر أو أكثر.. كلهم يصعدون إلى شقته.. فلماذا لا تراهم ينزلون منها؟!

لكن الجميع نسي هذا السؤال بعد حين.. فالعمارة كبيرة ولا تقع في حي شعبي.. بالتالي يغدو أمر من يصعد ومن يهبط ومن يزور من.. أمرًا يستحيل الإمساك به...

لكن الأمر افتضح ذات يوم.. وكان مهولًا مريعًا...

لقد أمسك أحد مخبري المديرية بالفتى عند المقطم..

وكان يحاول الخلاص من كيس قماشي كبير.. لقد كان يقود سيارته (الأوبل) السوداء إلى هذا المكان المنعزل ليتخلص من أحماله..

فتح المخبر الكيس بحثًا عن مخدرات فلم يجد لسوء الحظ.. كانت في الكيس أطراف آدمية..

رفعت:

أراهن على أن (يوسف) هذا وجد صعوبة في تفسير موقفه.. إن تفسير وجود أجزاء

بشريّة في حقيبتك عسير دائمًا..

الصوت:

بالضبط.. إن استنتاجاتك تتسم بالعبقرية ياد. (رفعت)...

رفعت:

وماذا حدث بعد هذا؟

الصوت:

كانت قضية مدوية.. لقد اتضح لرجال الشرطة أن (يوسف) هذا كان يستدرج من يعرفهم إلى شقته.. ويقوم بتخديرهم.. ثم يعكف على استنزاف دمائهم بمدية خاصة...

شريف (في هلع):

يا للهول! يستنزف الدماء؟ لمه؟

رفعت:

إنه يهودي.. فلن أندهش كثيرًا لذلك.. كانت هناك قصة مريعة في القرن الماضي عن يهود (حارة اليهود) الذين كانوا يختطفون الأطفال - مسلمين كانوا أو مسيحيين - ليصفوا دماءهم.. ثم يقومون بمزج قطرات من هذه الدماء في الفطير الذي يلتهمونه في أعيادهم الدينية... لا بد لهم من هذه البركة...

شريف:

و.. وهل الديانة اليهودية بهذه القسوة؟

رفعت:

ليست الديانة اليهودية بل ما صنعوه هم منها.. إن كتاب (التلمود) يضم العجب العجاب.. وفي جميع الأحوال لم يكتشف سر جرائمهم هذه إلا حين قرروا تجديد قائمة الطعام بصنف جديد... مبشر مسيحي فرنسي هو الأب (توما) الذي أحدث اختفاؤه ضوضاء عامّة.. وفي هذه المرّة تم القبض على مرتكبي هذه البشاعات.. لكنّ من يضمن ألا يعودوا إلى العمل ذاته من جديد في أي وقت؟ إنهم يعتبرون ذلك واجبًا دينيًا[7]..

شريف:

وهل كان (يوسف) مندرجًا تحت هذه القائمة؟

الصوت:

بالطبع.. لقد كان لديه في الشقة رقم (٩) كل ما يلزم لممارسة هذه الهواية المسلية.. واعترف بالتفصيل.. وتم إعدامه شنقًا بعد محاكمة حاولت ضبط نفسها.. ووسط ارتياح كبير من الرأي العام..

رفعت:

ومن يومها ظهر الشبح في الشقة رقم (٩)..

الصوت:

بالطبع.. المزيد من استنتاجاتك العبقرية هاهنا!

رفعت:

ولكن شبح من؟ شبح السفاح اليهودى أم ضحاياه؟

الصوت:

أغلب المخمنين يقولون إن هناك عدة أشباح في الشقة.. شبح السفاح وشبح ضحاياه.. ولهذا تدور هاهنا مطاردات لا تنتهي طيلة الوقت.. يقول قاطنو الشقة السفلية إن هناك قطرات دماء تنضح من سقف شقتهم ليلًا.. لكني أعتقد أن في هذا مبالغة لا بأس بها..

رفعت:

جميل**!** وأنت تتحدّث من هذه الشقة الآن**؟!**

الصوت:

طبعًا.. الشقة رقم (٩) ذاتها..

رفعت:

وهل بها جهاز هاتف؟ حسبتها شقّة مهجورة..

الصوت:

جرت محاولات عدة لسكنى هذه الشقة من أشخاص حسبوا أنهم لا يبالون بهذا الهراء.. لكنهم كانوا يهجرونها دومًا بعد شهور.. آخرهم مدرس قام بتركيب جهاز الهاتف.. ثم غادر الشقة.. وهو مواظب على دفع فاتورة الهاتف وإيجار الشقة إلى أن يجد مسكنًا آخر ينقل الهاتف إليه..

رفعت:

شقة مسكونة مريحة حقًّا**!** بالمناسبة.. ماذا قال ساكنو الشقة عما يحدث فيها؟ لا بد

أنهم رأوا ما يخيف..

الصوت:

لم يقل أحدهم شيئًا! الصمت.. الصمت الرهيب.. وهذا هو أفظع ما في الأمر.. فلو أنهم راحوا يثرثرون عن أشباح تعبر الصالة ليلًا أو تحرك قطع الأثاث لبدا هذا معقولًا وتقليديًا..

لكنهم - جميعًا ـ لم يتكلموا.. ربما نظر أحدهم لك بعينين زائغتين وقال شيئًا ما عن (الشقة الدنسة).. ثم يصمت نهائيًا..

وكان هذا هو السؤال الذي أرقني دومًا..

ماذا يحدث في الشقة رقم (٩) عندما يحل الظلام؟

رفعت:

وكيف تسللت إلى المكان؟

الصوت:

هذا هو سرّي الخاص الذي أرفض ذكر اسمي بسببه.. إن الأمر مزيج من الحيلة والذكاء مع قدر لا بأس به من خيانة الأمانة**!**

رفعت:

لا بد أنك تتحدّث عن سرقة المفتاح من البواب.. أو.....

الصوت:

لا داعي للاستنتاجات.. إنني هنا وكفى.. والشقة مغلقة عليّ وحدي..

شريف (في حماس):

ً

إنها لحلقة مثيرة حقًّا.. هو ذا مراسلنا يا سادة يتحدث لنا من قلب الشقة رقم (٩) حيث لا يجرؤ مخلوق عاقل على التواجد وحيدًا.. ولسوف يجعلنا نرى ما يراه ونسمع ما يسمعه.. إنها لفرصة نادرة**!** هل لنا أن نعرف سر اهتمامك بالاتصال؟

الصوت:

بالطبع طلبًا للسلوى وأن أشعر بأنني لست وحيدًا في هذا المكان.. ثم إنني أمقت أن أضيع عليكم الاستمتاع بفرصة كهذه..

رفعت:

يبدو لي أنك شخص قوي الأعصاب إلى حد غير عادي..

الصوت:

لأنني لا أومن بوجود عالم غير مكون من ذرات كاربون وهيدروجين.. أو بوجود شيء غير قابل للرؤية والسمع والشم والإحساس.. إنني مادي جدًا إذا راق لكم هذا الوصف..

رفعت:

كنت أعتنق هذا الرأي منذ أعوام.. لكني شفيت! وعلى كل حال أنت لا ترى الأشعة تحت الحمراء.. ولا تسمع الترددات فوق الصوتية.. ولا تشم غاز الهيدروجين.. لكنّها أشياء موجودة..

الصوت:

الحديث عن الأشباح يختلف.. لكني على كل حال جئت بعقل منفتح تمامًا.. ولئن

رأيت شبحًا الان فلسوف أقسم لك بأني حمار كبير...

شريف:

دعنا من هذا.. ولتحدثنا عن الشقة كما تراها..

الصوت:

لا أرى الكثير مما يمكن وصفه.. فهي شقّة من الشقق لها مزايا وعيوب كل شقّة أخرى.. لا توجد وطاويط كثيرة ولا نسيج عنكبوت إذا كان هذا ما تصبو إليه..

إنني جالس في الظلام - حتى لا يراني أحد من الجيران.. إن أضواء الشقق الموصدة تحدث مشاكل دائمًا - أستعين فقط بكشاف صغير أحطته بأسطوانة من الورق

المقوى.. أنت تعرف طريقة المقاومة الفرنسية هذه لإرسال الإشارات إلى طائرات الحلفاء، دون بعثرة ضوء يراه النازيون.. إنهم يفعلونها دائمًا بنجاح ساحق...

شريف:

إذن صف لنا هذه الشقة العادية جدًا..

الصوت:

توجد صالة ضيقة جدًا.. تقود إلى حجرة جانبية وهي التي أجلس فيها الآن.. لم يعد هناك أثاث طبعًا سوى هذا الهاتف.. وهو موضوع على الأرض وعليه سحابة كثيفة من الغبار...

هناك غرفتان أخريان يبدو أنهما مخصصتان للنوم.. وهناك حمام يبدو أنه كان مخصصًا للطقوس إياها..

أنا جالس على الأرض فوق خرقة من القماش كانت هناك.. معي - إلى جانب الكشاف - مسدس ألماني من مخلفات الحرب، ولفافة بها بعض الشطائر، وجهاز مذياع صغير أتابع به برنامجكم..

وبالمناسبة.. برغم ثقتي بنفسي لم أستطع أن أمنع نفسي من الجلوس وظهري إلى الجدار...

رفعت:

أفهم هذا.. كما أجذب أنا الملاءة ليلًا لأداري عروق رقبتي برغم ثقتي من أن

مصاصي الدماء لا وجود لهم..

الصوت:

إن للرعب ملكوتًا غريزيًا يجبرنا على أن...... لحظة**!** أسمع صوت قطرات ماء قادمة من الحمام**!** سأترككم لحظة كي أرى ما هناك..

شريف (في توتر):

إلزم الحذر أرجوك.. إنني..



الصوت:

سأعود حالًا.. (صوت وضع السماعة على الأرض.. صوت خطوات..)

شريف (بعد دقيقة):

إن هذا الانتظار يحطم الأعصاب.. ترى ماذا سيجد؟

رفعت:

لا أدري.. لكنّ صنابير الحمام تتلف سواء في وجود أشباح أم عدمها...

(تمر دقيقة أخرى)..

أعتقد أنه تأخر فعلًا..

(صوت الخطوات من جديد)..

الصوت:

لا شيء.. إن الصنبور يحتاج إلى (جلدة)..

رفعت (يتنهد):

ً

دعني أصارحك أنك رجل شجاع حقًّا.. هذا بالطبع لو لم تكن تتلاعب بنا وكل هذه تمثيلية تؤديها تحت ملاءة فراشك..

الصوت (في حدة):

لو كنت تشك في هذا دعني أنه المكالمة حالًا..

رفعت:

بل أصدقك.. إن صوتك وصوت الهواء حولك والصدى يقولون إنك صادق.. أرجو أن تستمر من فضلك..

الصوت:

إنني في هذه اللحظة بالذات - أسمع أنينًا.. كأن هناك من يتثاءب في حجرة النوم.. هل تسمعه معي؟

رفعت:

لا أدري.. لا.. إن حساسية الهاتف كما تعلم..

الصوت:

سأذهب لألقي نظرة..

رفعت:

لكن.. لا تتأخر.. (صوت وضع السماعة على الأرض والخطوات).. أرجوك.. (يقول موجهًا الكلام لـ (شريف)).. لو أنّ هناك جهاز هاتف لا يحتاج الأسلاك**!**

شريف:

هذا نوع من الخيال العلمي.. دعنا ننتظر عودته..

(صوت خطوات.. ثم شهقة)..

هيه! ماذا يحدث عندك يا أستاذ.. يا أستاذ (متسلل)؟

الصوت (في توتر):

هـ.. هناك.. لا.. لا شيء في غرفة النوم.. لكنّ هنا.. هناك من فتح لفافة الشطائر وقضم بعضها!

شريف:

أواثق من هذا؟

الصوت:

كل الثقة! أنا لم آكل لقمة واحدة منها.. إن هناك من يعابثني هنا.. هذا يفوق كل منطق.. (رفعت)! أنا خائف!

رفعت:

لا ألومك كثيرًا.. ربما فضلت أن تغادر الشقة الآن؟

الصوت:

لا.. لا.. إن وجود فئران هاهنا أمر وارد.. صحيح أن الفئران لا تقضم بهذا الانتظام كل هذا الحجم من الخبز.. لكنه تفسير لا بأس به.. ألا ترى هذا؟ سأعاود الجلوس والانتظار..

رفعت:

إن الأشباح الجائعة لا تبعث الراحة في النفس عمومًا..

الصوت:

لن أعلق لأنني أسمع صوت خطوات.. و... (همسًا).. (رفعت)! إنني أراه الآن.. إنّه يعبر الصالة أمامي خارجًا من غرفة النوم..

رفعت:

من هو؟

الصوت (هامسًا):

شبح رجل في الأربعين من عمره يرتدي منامة خضراء.. أراه على.. على ضوء خافت ينبعث منه شخصيًا! إنّه يضيء كأرقام الساعة في الظلام... إنه.. إنّه يمشي بتؤدة متجهًا إلى الحـ.. الحمام!

(رفعت)! أنا خائف! أنا أحمق كبير!

رفعت:

.. إذن - وقد أثبتّ وجود أذنين كبيرتين - يُمكنك الفرار...

الصوت (هامسًا):

لا أستطيع عبور الصالة.. سيراني**!** ولكن.. ها هو ذا يدخل الحمام.. أعتقد أنه لم يرني قط.. صوت مياه.. إنّه يفعل شيئًا ما بالداخل.. ثم.. هو ذا عائد إلى غرفة النوم.. لقد اطفأت الكشاف.. الظلام دامس إلا من ضوء الرجل الخاص.. إنّه يرمق غرفة الهاتف في ريبة.. لو دنا مني فلسوف....

حمدًا لله**!** إنّه يواصل مسيرته..

لقد اختفى عن عيني أخيرًا..

رفعت:

ً

أشباح هذا البيت غريبة حقًّا.. بعضها جائع وبعضها مصاب بسلس البول..

شريف:

هذا طبيعي.. فهم يمارسون حياتهم كما كانت.. واضح أن ذا المنامة الخضراء هو (يوسف إسحاق) ذاته..

الصوت:

من جديد يسود الصمت.. سأنير الكشاف من جديد...

الشقة خالية تمامًا.. سأحاول الآن أن أقوم بجولة تفقدية.. سأرى ما يوجد في غرفة النوم هذه!

شريف:

لا تفعل! لقد أثبتّ ما تريد.. حاول الآن إثبات سرعتك في الركض..

الصوت:

لا.. لا بد من أن.. لكنّ لحظة! هذه المرّة توجد فتاة شابة حسناء.. إنها في السادسة عشرة من عمرها أو أكثر قليلًا.. ترتدى قميص نوم أسود.. إنها تعبر الصالة.. بل هي تتجه إلى.. إلى الغرفة التي أنا فيها!

رفعت:

لا بد أنها من ضحايا السفاح.. هلا حاولت أن.....؟

(صوت صرخة أنثى)..

هيه؟ ماذا يحدث عندك؟

صوت فتاة:

بابا! ماما! تعاليا حالًا (يبتعد الصوت)..

الصوت:

حسن.. لقد فرت مني.. والآن يا دكتور (رفعت) حان وقت الوداع.. لقد استمتعت بالحديث معك.. وأعدك أن أكرر التجربة مرارًا..

رفعت:

ما هو اسمك يا سيدي؟

الصوت:

اسمي هو.. (يوسف)!

(صوت ضجيج.. أشخاص يتحدثون في صوت واحد)..

صوت الفتاة:

هو ذا! أقسم إنني وضعت السماعة بنفسي قبل النوم.. وها هي ذي مرفوعة وموضوعة جوار الهاتف!

(صوت رجل):

إذن لم تكوني أنت في حجرة الجلوس! لقد رأيت الضوء وحسبتك تحدثين (نرمين) كعادتك ليلًا.. بل سمعت صوتًا..

(صوت امرأة):

إذن هو (بسم الله الرحمن الرحيم) كما قالوا لنا! إن الشقة مسكونة!

الرجل (غاضبًا):

اصمتي ولا تكوني بلهاء.. الأشباح لا تتسلى بالكلام في الهاتف ليلًا..

الفتاة:

لكن.. هناك شخصًا ما على الطرف الآخر من الخط!

الرجل في حزم:

آلو!

رفعت:

د. (رفعت إسماعيل) يا سيدي.. مساء الخير!

الرجل:

مساء الهباب! من أقحمك على الهاتف؟

رفعت:

إن لدى بعض الاستنتاجات.. لكنّ قل لي أولًا: هل ترتدي منامة خضراء؟

الرجل:

أتعاكس في ساعة كهذه يا وقح؟

رفعت:

إن أساليب المعاكسة الهاتفية متعددة.. لكنّها لا تتضمن أن أرفع السماعة من عندك بالتأكيد.. هذا أسلوب فذ للمعاكسة.. قل لي: منذ متى جئت إلى هذه الشقة؟

الرجل:

منذ أسبوع.. لماذا تسأل؟

رفعت:

لأنني أثرثر منذ ساعة مع من يُدعى (يوسف).. وقد جعلني أعتقد أنه هو الضحيّة وأنتم الأشباح.. تصبحون على خير يا سيدي.. (يضع السماعة)..

شريف:

هل.. هل تعتقد؟

رفعت:

بالطبع.. لقد عرفت أشباحًا كثيرة مصابة بالملل وترغب في المزاح القاسي مع البشر.. وأعتقد أن ساكن الشقة رقم (٩) الجديد لن يظل بها طويلًا.. لقد كنا نحدث (يوسف إسحاق) ذاته**!**

شريف:

والشطائر.. والكشاف.. والشقة الخالية من الأثاث.. والمسدس؟

رفعت:

كذب.. ألاعيب لا أكثر.. لقد كان في كلامه شيئان أثارا انتباهي للحظة ثم نسيت الأمر.. لقد تحدث عن المقاومة الفرنسية

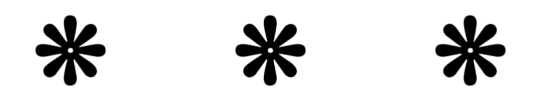
للنازيين باعتبارها ذكرى قريبة جدًا (وما زالت تحدث).. ثم هو يتحدث عن مسدس ألماني من مخلفات الحرب.. كيف يحصل شاب مصري في عام ١٩٦٩ على مسدس ألماني من عام ١٩٤٣؟ إن الشبح ما زال يعيش بعقلية عام ١٩٤٦ الذي شنق فيه!

شريف:

إذن تسلل أثناء نوم الأسرة إلى الهاتف ليتصل بنا..

رفعت:

أعتقد هذا.. وأعتقد أيضًا أن حياة الأسرة ستكون مفعمة بالمفاجأت طالما أقامت فترة أطول في الشقة رقم (٩) هذه..





الحلقة الخامسة

قُل لى يا (أونكل)

تحكيها : نهال فاروق

إلحلقة الخامسة
(قُلْ لي يا "أونكل")

تحكيها: نهال فاروق

«إن وجود تمثال للشيطان ـ والعياذ بالله ـ في مكتبك لأمر جدير بإثارة الريبة في حالتك النفسية والعقائدية».

المقـدمــة

شريف:

مساء الخير.. أو - للدقة الجغرافية - صباح الخير.. إن مذيعكم (شريف السعدني) معكم على الهواء مباشرة.. لنبدأ برنامجكم المفضّل (بعد منتصف الليل).. والبرنامج كما تعرفون قائم على تلقي مكالماتكم التي تحكي قصصًا مثيرة أو مرعبة..

رفعت:

إن قصصكم هي وقود آلة الرعب التي لن تتوقف أبدًا..

شريف (في عتاب):

هذه كلمتي المفضلة..

رفعت:

أرحت نفسي من سماعها للمرة المليون.. إن الوقوف خلف المدفع يختلف كثيرًا عن الوقوف أمامه... وأن تثير أنت ملل الآخرين لخير من أن يثيروا هم مللك.. و.. (رنين الهاتف)...

شريف:

آلو! هل لي أن أتشرف بمعرفة المتحدث؟

صوت غليظ:

أنا (عباس).. لقد استمعت إلى الحلقة السابقة من البرنامج وبدت لي سخيفة.. أنتم تستخفون بعقول المستمعين..

شريف:

أكرر مرّة أخرى أن المستمعين هم صانعو الحلقة لا نحن.. لكني لا أفهم ما لم يرق لك بالضبط..

عباس:

موضوع الرجل الذي يحاصره الذباب حيثما ذهب.. تقولون إنها لعنة معينة جعلته لا يجد لحظة راحة واحدة[8]..

أنا شخصيًا محاط بحشد هائل من الذباب.. دون أن أرى في هذا ما يستحق التهليل والتحليل..

رفعت:

لا يصعب عليّ استنتاج مشاكلك مع مياه الحمام.. على كل حال أعدك بألا نستخف

بعقول المستمعين ثانية..

(رنين الهاتف من جديد)..

شريف:

مرحبًا.. (شريف السعدني) يتحدث.. من معي؟

صوت طفلة:

أنا (نهال) يا أونكل (شريف).. (نهال فاروق)..

شريف:

أرجو ألا يكون اتصالك جزءًا من طقوس العشاء..

نهال:

لا أفهم.. أنا في السابعة من عمري.. في الصف الثاني.. ما معنى (طقوس)؟ إن أبلة (مها) لم تعطها لنا في المدرسة..

شريف:

لا عليك.. هل أنت وحدك؟

نهال:

بابا نائم.. وماما سافرت..

شريف:

سافرت؟ إلى أين؟

نهال:

لا أدري.. مرضت طويلًا ثم لم تعد إلى البيت.. بابا يقول إنها سافرت**!** لم أرها منذ عام.. (مايسة) تقول إنها ماتت.. أنا لا

أدري كيف يموت الناس.. ربما مثل ما حدث للكتكوت الذي ابتاعه بابا من السوق لي.. فجأة لم يعد يأكل ولا يشرب ولا يزقزق.. صار نائمًا طيلة الوقت.. بعدها قال بابا إن الكتكوت قد مات.. ودفناه في الحديقة في علبة شاي قديمة..

شريف:

وهل حزنت عليه؟

نهال:

قليلًا.. لم يكن مسليًا جدًا.. لكنّ ماما كانت طيبة وتغني لي قبل النوم..

شريف:

لكن ماما سافرت ولم.....

(هنا نظرت له نظرة جعلته يسكت.. لا داعي للاسترسال في الخداع المزري لهذه البائسة الصغيرة.. إن الصمت هو خير سياسة)..

لماذا اتصلت وحدك يا (نهال)؟ ماذا أبقاك ساهرة إلى هذه الساعة؟

نـهال:

أنا.. أنا خائفة يا أونكل..

رفعت لـ (شريف):

هذا هو بيت القصيد.. إن خوف الأطفال يخفي دائمًا أتفه الأسباب أو أشنعها..

نـهال:

هل أحكي القصة من أولها؟

شريف:

طبعًا.. طبعًا.. خذي راحتك..

نهال:

بابا يعمل في الآثار.. إنّه يبحث عن آثار هؤلاء الناس الذين كانوا يعيشون في مصر زمان.. وقد أخذنا كثيرًا إلى المتحف المصري وإلى الأقصر وأسوان.. رأينا هناك تماثيل كبيرة جدًا.. وأخذنا إلى السيرك في العام الماضي حيث رأينا الأسود..

رفعت (في حنان):

هكذا الأطفال.. أفكارهم خيول جامحة لا تثبت على درب واحد.. كنت تتحدثين عن

آثار قدماء المصريين يا حلوة.. لسنا في السيرك هنا..

نهال:

نعم.. نعم.. الآثار.. كان بابا يحضر إلى البيت كثيرًا من الأشياء.. أشياء حلوة.. تماثيل.. أوراق صفراء ملفوفة.. وفي مرة أحضر يد فتاة قديمة.. لم يرني إياها.. لكني دخلت مكتبه لألعب ووجدتها في الدرج.. يد سوداء قبيحة خفت منها كثيرًا.. لكنّ بابا قال لي إنها لا تؤذي..

رفعت:

والدك يحضر معه ما يجده من آثار؟!

نهال:

نعم.. ثم يأتي عمو (صليحة).. ويشتريها منه.. إنه يأتي دائمًا ليلًا.. وهو يرتدي جلبابًا أبيض وعمامة!

رفعت:

والدك يبيع الآثار لـ (عمو صليحة) هذا!

نهال:

نعم.. نعم.. (تبتلع ريقها من فرط الحماس).. وبابا يشتري لنا الأكل وأشياء حلوة كثيرة بهذا المال!

رفعت:

إن الأطفال لا يحفظون سرًا.. الآن أنا متأكد من أن أباها نائم في عمق..

نهال:

وفي يوم من الأيام أحضر بابا لنا تمثالًا صغيرًا لست.. تمثالًا وجده وهو يحفر..

شريف:

(ست)؟ تعنين امرأة؟

رفعت:

بل (ست) إله الشر عند الفراعنة وعدو (أوزيريس) اللدود.. إن حفظ الاسم ليس عسيرًا على الأطفال يا (شريف)..

نهال:

كان التمثال مخيفًا.. لكنّ بابا ظل يتأمله طيلة الليل.. كلما صحوت وذهبت إلى الحمام أجده جالسًا في الصالة ينظر للتمثال بنفس الطريقة..

ماما لاحظت ذلك.. وقالت لي (هذا التمثال ملعون).. لم أفهم ما تعنيه يا أونكل (رفعت).. لكن هذا هو ما قالته..

في الصباح قال بابا نفس الكلام.. لكنه لم يرم التمثال أو يبيعه.. بل وضعه على المكتب.. ومن يومها وهو هناك..

رفعت:

هذا شائق.. يبدو أن التمثال مس شيئًا ما في أعماقه.

شريف:

لكن (ست) لا وجود له.. إنّه مجرد إله وثني.

رفعت:

بعض المفكرين يرون أن (ست) محاولة وثنية متخلفة للتعبير عن الشيطان.. إن وجود تمثال للشيطان ـ والعياذ بالله - في مكتبك لأمر جدير بإثارة الريبة في حالتك النفسية والعقائدية..

نهال (محنقة):

هل ستتكلمان.. أم تتركاني أتكلم؟

شريف:

بل سنخرس يا (نهال).. تأكدي من هذا..

نهال:

بعد أسبوع من حصول بابا على تمثال (ست) جاءنا عمو (صليحة) ليلًا.. دخلت لهما بالشاي الذي أعدته ماما.. كانا يتشاجران بصوت عالٍ - بابا وعمو - ولم

يلاحظا دخولي الحجرة.. مثلًا كان بابا يقول له (أنت لص! ما زلت مدينًا لي بألف جنيه).. وعمو (صليحة) يقول (عليا الطلاج لن تتقاضى مني مليمًا أحمر)...

شريف (بحذر):

هل تعرفين معنى (عليا الطلاج) هذه؟

نهال:

لا.. سمعتها مرة في السينما.. يبدو أنها قسم ما.. المهم أنهما كانا يقولان كلامًا كثيرًا من هذا النوع.. كان بابا غضبان جدًّا.. ولم يشرب عمو (صليحة) الشاي.. بل نهض وقال (أنت المسئول يا فاروج بيه)..

هنا رأيت بابا ينظر له.. ينظر له نظرة مخيفة.. رأيت لون (النني) في عين بابا قد صار أحمر.. أقسم لك يا أونكل.. (عليا الطلاج) كان أحمر!

رفعت (في ضيق):

هذا هو أثر السينما وعدم انتقاء الكبار لألفاظهم أمام الأطفال.. (نهال).. هذه الكلمة سيئة وبذيئة جدًّا.. أفهمت؟



نهال:

حسن.. المهم أنني خفت من بابا كثيرًا.. يبدو أن عمو (صليحة) أيضًا قد خاف لأني رأيته يرتعش.. يرجع للوراء.. ثم يترك الدار سريعًا.

ثم.. ثم ظل بابا جالسًا وقد غطى وجهه.. كان يرتجف.. وأفزعني كثيرًا.. فجأة سمعنا صوت فرملة من الشارع..

كان هناك ناس كثيرون.. وبابا منعني من الخروج.. لكني سمعته يقول لماما بعد ما عاد من الخارج إن عمو (صليحة) داسته عربة..

لقد مات كتكوتي الصغير.. في هذه الليلة لم أنم قل لي يا أونكل.. هل سيضعونه في

علبة شاي ويدفنونه في الحديقة هو الآخر؟

رفعت:

لا يا (نهال).. فلا توجد علبة شاي تناسب حجمه.. للأسف..

نهال:

بعد هذا جاء دور عمو (فرج) الجنايني..

شريف:

آخرون؟ هذا مريب حقًّا..

نهال:

كنت أحبه كثيرًا.. كان يعطيني الخرطوم لأروي الزرع بدلًا منه.. وفي مرة اصطاد يعسوبًا وربط ذيله بخيط.. وجعلني أمسكه..

وجدته يتشاجر مع بابا.. يبدو أن بابا طلب منه شيئًا ولم يفعله.. هنا لمحت بابا ينظر له ذات النظرة.. كان (النني) أحمر في عينه.. وراح عمو (فرج) يرتجف...

في المساء جاء الطبيب وقال إن عمو (فرج) مريض جدًا.. في اليوم التالي لم يعد موجودًا.. قالت ماما إنّه سافر..

رفعت:

وماذا فعل والدك؟

نهال:

لا شيء.. أحضر تمثالًا آخر لامرأة ترضع طفلًا ووضعه جوار تمثال (ست).. لكنه ظل يجلس أمام (ست) كثيرًا جدًا..

رفعت:

(إيزيس) وابنها (حورس).. لقد ظن (فاروق) بيه أن (إيزيس) قد تملك القدرة على مقاومة شر (ست).. كما ظن الفراعنة قديمًا.. لكني أتساءل: لماذا لم يتخلص من التمثال؟

شريف:

لقد استحوذ على روحه تمامًا.. هذا واضح.. وبعد هذا يا (نهال)؟

نهال:

بعد هذا تشاجر بابا مع جارنا.. يبدو أن طانط (سمية) قد جعلت خادمها يُلقي القمامة في حديقتنا.. ونجح الجيران في مصالحتهما..

لكن عمو (صبري) - جارنا - مات في حريق كبير في الليلة ذاتها.. كانت النار تتصاعد من بيتهم... وجاءت عربة المطافئ بلونها الأحمر الجميل.. أنا أحب عربة المطافئ.. لكني كنت خائفة من النار..

رفعت:

ألم تقل أمك شيئًا؟

نهال:

صحوت من النوم لأجدها تقول لأبي إنها مندهشة أو شيء من هذا القبيل.. قال لها بابا إنّه لا يعرف السبب.. لكنه يعتقد أن (اللى يجي عليه مايكسبش)..

رفعت:

وهل كان والدك معكم حين حدث الحريق؟

نهال:

طبعًا.. كنا نتفرج على فيلم مضحك جدًا في التلفزيون.. لكنّ بابا كان شاردًا.. وأكثر من مرة غطى وجهه بيده..

بعد هذا تشاجر أبي مع ضابط مرور.. وسمعت بعدها أن الضابط مات ببطنه.. إنّه ذلك الشيء الذي ينفجر..

رفعت:

الزائدة الدوديّة! لا يمكن اتهام أحد هذه المرّة.. لكني ألاحظ إن أباك كثير الشجار حقًّا؟

نهال:

ماما تقول إن بابا (دمه حامي)..

لكني رحت أسألها: لماذا يموت أو يسافر كل واحد يتشاجر مع بابا؟

قالت لي (اللى ييجي على بابا مايكسبش)..

لكنها تشاجرت معه هي أيضًا!

رفعت:

حقًا؟ أكان هذا منذ عام تقريبًا؟

نهال:

نعم.. صحوت عند منتصف الليل على صوت الصراخ، كانت أمي تقول كلامًا مثل (لقد أفسدت حياتنا) و(تخلص منه أرجوك).. وبابا يقول لها (أنت جاهلة) و(أبعد كل هذا التعب؟)..

مشيت حافية لأسمع أكثر..

ومررت أمام باب غرفة المكتب المفتوحة.. عندما.....

شريف:

آه ه ه**!** ومـ.. ماذا رأيت؟

نهال:

كان التمثال يضيء بضوء أحمر.. ضوء يخرج من العينين.. مثل اللعبة التي تعمل بحجارة البطارية عندي.. لعبة دب تضيء عيناه وأنفه.. ويمشي وهو يدق طبلًا..

في نفس الوقت سمعت ماما تصرخ:

- «(فاروق).. لماذا تنظر لي هكذا؟ (فاروق)**!** ماذا أصاب عينيك؟»

وبعدها انطفأت عينا التمثال..

وجريت أنا خائفة إلى الفراش.. فغطيت وجهي وأنا أرتجف..

رفعت:

لـ (شريف): هذا الجزء يفسر كل شيء.. إن التمثال هو المعادل الموضوعي للأب.. وهو يرسل إشارة الشر إليه في لحظات الغضب..

لـ (نهال): بعد هذا مرضت أمك طبعًا؟

نهال:

في الصباح لم تنهض من الفراش.. ولم تعد لنا الإفطار مع دادة (سعدية).. وقال بابا إنها مريضة.. وجاءت خالتي (زهيرة)

لتأخذني لدارها حيث ألعب مع (مايسة) و(مجدي)..

بعد أسبوعين عدت للبيت حيث أخبرني بابا أن ماما مسافرة.. ومن يومها وأنا أعيش مع بابا وحدنا..

أنا أحبه كثيرًا.. لكني خائفة منه ومن التمثال.. وخائفة من أن يتشاجر معي وتحمر عيناه...

رفعت:

لهذا نهضت من النوم وجئت تتصلين بنا.. كيف عرفت الرقم؟

نهال:

بابا كان يريد أن يكلمك**!** وجدت النمرة جوار الهاتف..

والآن قل لي يا أونكل.. ماذا أفعل؟

رفعت لـ (شريف):

يمكننا الآن فهم القصة.. إن تمثال (ست) قد أصاب الرجل بلعنة خاصة جدًا: إن من يثير غضبه يحكم على نفسه بالموت.. ونظرته شبيهة بعلامة (الليزر) الحمراء التي يصوبون بها على الهدف في البنادق الحديثة..

والآن اسمعي ما أقول يا (نهال) ونفذيه حرفيًا.. هل أنت خائفة من الخروج إلى الحديقة الآن؟

نهال (بعد صمت محرج):

نعم؟ أنا خائفة.. لا.. لا.. لست خائفة!

رفعت:

هذا جيد.. الخطر لا يكمن في الحديقة بل في هذا البيت الذي تتكلمين منه.. قولى لي.. هل عندك علبة صغيرة؟ أي علبة؟

نهال:

نعم.. نعم.. عندي علبة كبيرة كنت أضع فيها دميتي..

رفعت:

حسن.. ستدخلين إلى المكتب الآن.. وتضعين تمثال (ست) مع التمثال الآخر - تمثال الأم - في ذات العلبة.. بعد هذا تخرجين إلى الحديقة.. وتدفنين العلبة كما فعلت بالكتكوت.. مفهوم؟

نهال (في تردد):

لكن.. لكنّ.. الظلام.....

رفعت:

الظلام ليس مخيفًا.. المخيف هو ما ينتظرك لو لم تفعلي ما أقول..

شريف:

ماذا تحاول عمله بالضبط؟

رفعت:

لا أدري هل تنجح أم لا.. إن (إيزيس) هي عدو (ست) الدائم.. (إيزيس) هي الجمال والأمومة والخصوبة والحنان.. ربما لو دفناها مع (س) كانت قادرة على إبطال شره..

شريف:

كلام نظري أكثر من اللازم..

رفعت:

هيا يا (نهال).. تحركي..

نهال (مذعورة):

لا وقت يا أونكل.. لقد استيقظ بابا**!** قل لي يا أونكل: ماذا أفعل؟

صوت غليظ يمسك السماعة:

آلو**!** لقد كنت أتنصت لسماع ما تقوله (نهال) يا دكتور (رفعت).. عرفت أنها تحدثك.. وأنها جعلت من أبيها وحشًا كاسرًا مرة.. وضحية للسحر الأسود مرّة أخرى.. هذه الفتاة تهرف يا د. (رفعت).. تهرف.. ولسوف أعرف كيف أربيها**!**

نهال (في هلع):

لاااه**!** إنني أقول الصدق يا أونكل**!** (صوت نزاع على سماعة الهاتف).. بابا**!** لا تنظر لي هكذا**!** ماذا دها عينيك؟

رفعت (صارخًا):

(نهال)**!** افعلي كما قلت**!** اركضي إلى المكتب حالًا..

نهال:

سأفعل.. سأفعل**!** (صوت خطوات تركض)..

الأب (صوته يبتعد):

أيتها اللعينة**!** سأعرف كيف.....

(صوت مطاردة، صراخ، أبواب تنغلق)..

شريف:

ليتني أعرف ما يدور هناك...

رفعت:

إن أسلوب الهاتف هذا يشعرني بالعجز.. لا أذكر كم مرة سمعت صوت جريمة قتل وأنا لا أدري كيف أتصرف...

الأب (لاهثًا):

لقد فرت المجنونة إلى الحديقة ومعها تمثال فرعوني كان على مكتبي.. لن أجدها في هذا الظلام.. هلا فسرت لي ما يحدث هنا؟

رفعت:

أعتقد - بعد هذه المكالمة - أنك الأجدر بالتفسير..

الأب:

تفسير ماذا بالضبط؟

رفعت:

مصرع (صليحة).. ومصرع الجنايني (فرج).. وجارك الذي تشاجرت معه.. ورجل المرور... وزوجتك..

الأب:

أولًا: زوجتي تعاني من السرطان منذ عامين.. إنها نهاية محتومة..

ثانيًا: الجنايني أصيب بأزمة قلبيّة وهذا مسموح به كما أظن..

ثالثًا: جاري أحمق حاول إحراق القمامة في حديقته ولم يدر أن الريح تتحرك في اتجاه داره.. أمّا عن رجل المرور فلا

أعرف عنه شيئًا.. ومن العسير أن أتشاجر مع رجل مرور عمومًا..

رفعت:

لماذا؟

الأب:

لأنني لا أملك سيارة.. هذا من حقي على ما أظن..

رفعت:

وماذا عن تاجر الآثار (صليحة) هذا؟

الأب:

لماذا أتعامل مع تاجر آثار وأنا محام؟!

رفعت (مذهولًا):

محام؟ محام؟ لكنّها قالت.....

الأب:

نعم محام يا سيدي.. هو ذا عنواني (يذكر العنوان) ورقم هاتفي (يذكر الرقم).. يُمكنك أن تتصل بهذا الرقم للتحقق من المعلومة التي أؤكدها.. إن لي صديقًا يدعى (صليحة).. لكنه حي يرزق حتى هذه اللحظة..

رفعت:

وتمثال (ست) هذا؟

الأب:

لدي تمثال فرعوني في مكتبي ابتعته من (خان الخليلي).. ولا أدري من يمثل.. إن التماثيل الفرعونية كلها تتشابه..

شريف:

لكن (نهال) حكت قصة معقدة جدًا عن لعنة (ست) التي أصابتك، وجعلت لك نظرة مهلكة لكل من يثير غضبك..

الأب:

هذه هي مشكلة الطفلة.. إنها تعيش في عالم خيالي دائم.. وتخلط بين الحقيقة والخيال.. إنها لا تثق بي.. وتؤمن بأنني أحاول الفتك بها.. يقول الطبيب النفساني إن هذا ناجم عن مشاجرتي الأخيرة مع أمها والتي تلاها تدهور الأم مباشرة.. ثم إرسالها لتعيش عند خالتها.. وحين عادت كانت الأم قد ماتت - رحمها الله - وقيل لـ (نهال) إنها قد سافرت.. كل هذا جعل (نهال) تعتقد أنني خصمها.. وأنني سبب فقدها للأم.

ثم إن (نهال) تملك هواية تلفيق أحداث لم تكن، ولها موهبة قصصية غير عادية.. وذكاء يفوق عمرها بمراحل...

لقد داعبت الجميع مداعبة قاسية.. خدعتكم وأساءت إلى سمعتي.. لكنّ الحقائق لا تخرج من أفواه الأطفال دائمًا.. أنا كرجل قانون أعرف هذا....

رفعت:

الحق أنّ هذا وضع محير يا أستاذ (فاروق).. كلامك يحتمل الصواب تمامًا.. وكلامها يحتمل الصواب تمامًا.. من العسير معرفة الحقيقة..

على كل حال.. أشكرك.. وأرجو أن تعاود البحث في الحديقة عنها.. وحاول ألا

يؤذيها شيء في الأيام القادمة، وإلا تأكدنا من صواب قصتها.. (يضع السماعة)..

شريف:

ما رأيك في كل هذا؟

رفعت:

لحظة.. ليس قبل أن أطلب الرقم الذي ذكره.. لقد دونته هنا.. (يدير قرص الهاتف.. صوت رنين متصل)..

شريف:

لا أحد هنالك..

رفعت:

هذا دليل كاف على صدقه.. من الطبيعى أنه يبحث عنها في الحديقة الآن.. ولو كان

الرقم زائفًا لرد علينا شخص متذمر أو امرأة مذعورة إثر الاستيقاظ من النوم.. وعلى كل حال يمكننا التأكد من العنوان غدًا...

شريف:

ألاعيب الأطفال هذه**!**

رفعت:

لن نكف عن التعلم طيلة حياتنا.. وفي كل لحظة ندرك أننا مازلنا سهلي الخداع كالأطفال.. لكنني أؤمن بأن هذا البيت يحوي مأساة إنسانية حقيقيّة آمل أن يعالجها الأطباء..

نعم نحن لن نكف عن التعلم وارتكاب الحماقات، حتى تحين ساعتنا وندفن في

صناديق شاي كبيرة تحت تراب الحديقة..

❋ ❋ ❋



الحلقة السادسة

الحـــافـلــة

يحكيها : عباس الدكروري

الحلقة السادسة
(الحافلة)

يحكيها: عباس الدكروري

«لا شيء على الإطلاق.. الشارع المقفر المظلم في ضوء واهن لعمود نور واحد نسيت البلدية أن تهشّم مصباحه.. لا شيء.. لا فتاة.. لا رجل..»

المقـدمــة

شريف:

صباح الخير أعزائي.. هو ذا (شريف السعدني) معكم في الساعات الأولى من يوم الجمعة.. ونحن بانتظار قصتنا التالية التي أرجو ألا تقل جودة عن قصة الأسبوع الماضي..

رفعت:

هذا ما أرجوه.. وأتعشم أن تخلو من مصاصي الدماء والمذءوبين والقبور المفتوحة لأن هذا قد صار مملًا..

شريف:

إن هذه هي مفردات الرعب يا د. (رفعت)..

رفعت:

بالعكس.. هذه هي مفردات الرعب لدى القصص المصورة ومجلة (د. س. كوميكس).. لكنّ الرعب عالم لا ينتهي.. وكما قلت لك في أول حلقة إن الرجفة التي تشعر بها حين تجد جهاز التلفزيون يعمل وحده، لتعادل أي رعب تحدثه الوطاويط والمومياوات الحية.. ثم إن هناك بعد الرعب النفسي.. حين تشعر بانك عاجز عن معرفة ذاتك.. شيء ما في داخلك يتغير ولا تدري كنهه..

(رنين الهاتف)..

شريف:

آلو**!** من المتكلم؟

صوت قلق:

أشعر أنني عاجز عن معرفة ذاتي.. شيء ما في داخلي يتغير.. ولا أدري كنهه**!**

رفعت:

يا لها من مصادفة**!** إنّه يمزح إذن؟

شريف:

لا أظن.. ما كان ليملك رد فعل بهذه السرعة.. من أنت يا سيدي؟

الصوت:

أنا.. أنا..... (يغلق السماعة)..

شريف:

لقد أنهى المكالمة.. دعابة ثقيلة هي حقًّا..

رفعت:

الحق أنه اتصل بنا أسرع من اللازم كما تقول.. وإنني لأتساءل..... (رنين الهاتف)..

شريف:

آلو.. هل أنت الأخ الذي يتغير داخله؟

صوت غليظ:

عم تتحدّث؟ أنا (عباس الدكروري)..

شريف (متداركًا):

مرحبا بك في برنامجنا يا أخ (عباس).. يُمكنك أن تحكي مشكلتك..

عباس:

أنا.. أنا محصل التذاكر في حافلة.. لن أذكر رقمها ولا الخط الذي أعمل عليه.. لا أريدهم أن يعرفوا من أنا.....

شريف:

تفكير حويط لولا أنك ذكرت اسمك الكامل..

عباس:

بالطبع هو اسم مستعار.. ظننتك نبيهًا متعلمًا لتحدس ذلك..

رفعت:

(عباس الدكروري)**!** اسم معقد جدًا كي يتم ابتكاره.. إنك تملك موهبة أدبية لا شك فيها يا أخ (عباس)..

عباس:

كان هذا هو اسم (صول) عرفته في الجيش.. وهو ما تبادر إلى ذهني قبل الاتصال.. المهم.. دعنا من هذا الكلام الفارغ..

قلت لكما إننى محصل تذاكر.. وقد فرغت من عملي منذ ساعتين.. لقد حكيت مشكلتي للجميع لكنّ لا أحد يهتم بها ولا أحد يصدّق..

لهذا أردت أن أجرب هذا البرنامج...

أتحدث إليكما من هاتف البقال الذي أسهر معه حتى الفجر.. إنّه صديقي الوحيد.. ومحله تحت داري مباشرة.. لكنه ليس جواري الآن ليسمع حرفًا مما أقول..

(صوت قرقرة).. لا أستطيع النوم مالم آخذ كرسيًا من المعسل معه.. (صوت قرقرة)..

رفعت:

جميل منك أن تبدأ بوصف الظروف البيئية.. لكني أقترح أن تدخل في الموضوع مباشرة..

عباس:

(سعال).. كح كح**!** توه توه**!** صبرك عليّ**!** كح كح**!** كنت أقول إنني محصل.. محصل ماذا؟

رفعت:

تذاكر.. على خط لن تذكره..

عباس:

الله ينور عليك.. (صوت قرقرة).. بدأ كل شيء من شهر.. لا بل من شهرين.. كنت أعمل في وردية المساء.. وأنا أحب العمل مساء لأنّه أكثر راحة.. الازدحام قليل.. وضغط العمل معقول جدًا.. ثم إن زبائن الليل أكثر هدوءًا وأقل عصبية، وأكاد أعرفهم واحدًا واحدًا.. فهم يتكررون أكثر الوقت..

صعدت تلك الفتاة إلى الحافلة، ومدت يدها بورقة نقد تطلب تذكرة.. كنت جالسًا في مقعد المحصل نصف غاف.. لكني رأيت أمامي أجمل وجه رأيته في حياتي.. أية تقاطيع! أية عينين! صحيح أنها كانت نحيلة ـ وأنا أحب البدينات ـ وصحيح أنها

ترتدي السواد.. لكنّها كانت أجمل الجميلات حقًّا..

وجلست جوار النافذة على مقربة مني.. وراحت تتامل الشوارع في شرود.. ثم مدت يدها إلى حقيبتها فأخرجت شطيرة راحت تقضم منها وتواصل النظر من النافذة..

لم ترفع عينها قط.. ولم تدر بنظرها في المكان.. (صوت قرقرة).. صدقني.. والله على ما أقول شهيد..

بعد ثلاث محطات صعد هو.....

جدار آدمي يرتدي جلبابًا أزرق.. في عينيه حول بسيط.. ناولني ثمن التذكرة ثم مشى بين المقاعد.. توقعت أنه (نطع) وأنه

سيجلس جوار الفتاة الوحيدة ليضايقها.. لكنه مشى إلى مقعد خال على بعد صفين منها وجلس.. وراح ينظر خارج النافذة..

عدت أختلس النظر إلى الفتاة، فوجدتها قد تغيرت كثيرًا.. لم تعد تنظر خارج النافذة.. بل هي تنظر إلى الرجل في رعب.. وحياتك لم أر رعبًا كهذا في حياتي.. لقد كفت عن ازدراد الشطيرة.. ثم كومت ما بقي منها في ورقة جريدة وأعادتها لحقيبتها..

كانت خائفة حقًّا.. ورحت أسأل نفسي: ترى يا بنت الناس لماذا أنت خائفة هكذا؟ أتراه لص حقائب يطاردك؟ أتراه ممن يهاجمون النساء وانت فارة منه؟ أتراه

زوجًا يحاول استردادك بعد الطلاق أم خطيبًا غيورًا؟ أم ماذا؟

ثم قلت لنفسي: لا تتدخل فيما لا يعنيك يا (فؤاد).. ربما الفتاة لصة يطاردها هذا المخبر.. لم لا؟ هذا الجسد العملاق لا بد أن يكون لمخبر.. (صوت قرقرة)..

في المحطة التالية لم ينزل أحد.. وصعد شاب رقيع مراهق من أولاد هذه الأيام.. وطبعًا لم يجد الوغد مكانًا للجلوس سوى المقعد الشاغر جوار الفتاة.. وراح يبتسم ويتمحك محاولًا تعرفها.. بيني وبينك.. أنا لا أطيق المسخرة.. لهذا أمرته في حزم وعيني تطق شررًا أن يجد لنفسه مقعدًا آخر.. قال لي في رقاعة إنّه قطع تذكرة ومن حقه أن يجلس حيث يشاء.. فأطلقت

عليه سيلًا من السباب لن أذكره هنا لأننا على الهواء.. المهم أنه قام ووجهه كالطماطم عاجزًا عن غلق (جاعورتي) التي انفتحت..

رفعت:

متى ستبدأ القصة يا أخ (فؤاد)؟

عباس (سيصير اسمه [فؤاد] من الآن):

كـ.. كيف عرفت اسمي؟

رفعت:

هذه مهنتي.. أن أعرف أشياء تحاول إخفاءها.. والآن هلّا بدأت سرد المشكلة؟

فؤاد:

ليكن.. غريب أن تعرف اسمي وأنا لم أقله.. ما علينا.. أين كنا؟ آه.. حين زجرت الولد الرقيع الخنفس.. يبدو أنّ هذا جعل الفتاة تعتقد أنني قادر على حمايتها..

رأيتها - للمرة الأولى - تنظر في اتجاهي..

ثم نهضت محاولة ألا تفقد توازنها بينما الحافلة تتحرك، وجلست على المقعد المجاور لي تمامًا.. وقالت كلامًا كثيرًا..

أعني أنني لم أفهم حرفًا في البداية لأن صوتها كان خفيضًا جدًّا.. ثم بدأت أفهم أنها تطالبني بحمايتها من ذي الجلباب الأزرق.. كان ضمن ما قالته هو أنه يريد قتلها.. وأنه يقتفي أثرها عبر شوارع

المدينة منذ ثلاث ساعات.. وأنها حاولت الفرار أو أن تفقده عبر المواصلات لكنه كان يجدها دائمًا..

طبعًا ـ (صوت قرقرة) - سألتها عن السبب الذي يجعل ذلك (النطع) يرغب في قتلها.. لكنّها قالت إنها لا تدري..

كح كح! وأنت تعرف بالضبط أن آخر شيء يمكن للرجل أن يرفضه، هو تقديم العون لفتاة حسناء تستغيث به.. ساعتها يمكنه أن يحرك الجبال أو يشرب النيل كله.. وكان في مقدوري وقتها أن أمزق هذا الرجل تمزيقًا.. لكنّ المشكلة هي أنه حتى هذه اللحظة كان جالسًا مهذبًا وفي حاله، يتسلى بمراقبة الشارع..

إذن فلأطلب من السائق أن يتجه إلى قسم الشرطة.. لكن الفتاة توسلت إلى ألا أفعل..

إذن ما هو المطلوب مني بالضبط؟

لا شيء.. كل ما تريده هو أن أظل بجوارها حتى نهاية الخط.. فقد يسبقها الرجل بالنزول أو يشعر بأنها ليست وحيدة..

ثم خطرت لي فكرة أفضل..

قلت لها أن تنزل في المحطة التالية.. وتعود لدارها بالمواصلات. عرفت أنها من (السيدة زينب) - وأنا سأتأكد من أن الرجل لن يهبط وراءها.. وقلت لنفسي إنها لو كانت صادقة سيتحرك الرجل مستعدًا للنزول بمجرد أن تصل هي إلى الباب..

وبعد ثوان توقفت الحافلة فأشرت لها كي تهبط...

فما إن وصلت إلى درجات السلم حتى رأيت الرجل يتأهب للنهوض.. مشيت نحوه.. وصحت فيه:

- «أين تذكرتك يا هذا؟ ألم أطلبها منك؟»

وأطلقت صفارتي كي تتحرك الحافلة قبل أن يجد ردًا...

أرغى الرجل وأزبد وهتف يصيح بالسائق:

ـ «انتظر! إن هذه محطتي..» - ثم صاح في وجهي - «هل تتعاطى شيئًا؟ ها هي ذي تذكرتي.. هل أفقأ بها عينيك؟»

كانت الحافلة قد تحركت مسافة معقولة مبتعدة عن الفتاة.. لهذا لم أر ما يمنع من ممارسة هوايتي في الصراخ والجعجعة.. ورحت أهدد الرجل بالويل إن لم يحسن لهجته معي..

وراح راكبو الحافلة القلائل الذين لم يروا فيما حدث ما يستحق كل هذا الصراخ؛ يهدئون النفوس.. كان الرجل قويًا حقًّا وشديد المراس ولولا حماسي لما جرؤت على التشاجر معه..

ومرت محطتان ونحن غارقان في المجادلة وتبادل الاتهامات.. ثم إنّه توقف عن الصراخ وتمنى لنا خراب بيوتنا جميعًا، وقال إننا جعلناه ينسى أن ينزل في محطته..

وعند المحطة التالية نزل وهو ينعتنا بنعوت كريهة..

وتحركنا مبتعدين لنغيب في الظلام......

وكانت هذه هي الليلة الأولى!

شريف:

أولى؟ إذن هناك ليلة ثانية وثالثة؟

فؤاد:

وعاشرة إذا أردت.. ففي الليلة الثانية تكررت القصة بحذافيرها.. صعدت الفتاة ولم يبد عليها بتاتًا أنها تعرفني.. وحينما مدت يدها الخالية من الخواتم لتأخذ تذكرتها، قلت لها في فخر:

- «صاحبك لم يستطع الخلاص مني البارحة..»

نظرت إلى في حيرة غير فاهمة.. وتساءلت:

- «أفندم؟!»

ثم تناولت تذكرتها واتجهت لمقعدها جوار النافذة، لتخرج الشطيرة من حقيبتها وتبدأ في تأمل الشارع.. بعد قليل صعد ذو الجلباب الأزرق.. وجلس جلسته السابقة.. ظننت أنه سيتشاجر، لكنه تصرف بوقار غريب.. وقدرت أنه ينوي بدء صفحة جديدة معي.. لكني لم أفهم.. هل هو مستمر في مطاردة الفتاة؟

إذن لماذا لم تطلب مني العون؟

ثم قلت لنفسي: إن النساء جميعًا مخبولات.. كلهن ناقصات عقل ودين.. ولا

يمكن فهم ما يفكرن فيه ولا لماذا يفعلن ما يفعلن.. هن أنفسهن لا يعلمن سبب ما يقمن به...

رفعت:

إن آراءك لن تروق لقيادات الحركة النسائية.. لكني أرى فيها شيئًا من الصواب.. أكمل قصتك..

فؤاد:

المهم أن كل شيء تكرر..

رفعت:

كل شيء؟

فؤاد:

كل شيء والله على ما أقول شهيد.. صحيح أنها لم تطلب عوني.. لكنّها ظلت تنظر إلى الرجل في ذعر وكفت عن قضم الشطيرة.. ثم.. حين تحركت الحافلة أو أنذرت بالتحرك في إحدى المحطات؛ هرعت هي إلى الباب وصاحت في السائق: أنا نازلة! وقبل أن تتوقف الحافلة تمامًا كانت قد هبطت منها وذابت في الظلام...

أما الرجل فهرعٍ إلى باب الحافلة الذي كان قد انغلق فعلاً.. وراح يهيب بالسائق أن يفتح الباب.. لكن السائق كان قد ابتعد بما يكفي.. وفي المحطة التالية هبط الرجل وهو يسبنا بنعوت عدة.. هي الشيء الوحيد الذي تغير في الموقف كله..

(صوت قرقرة).. كوح كوح تفو!

رفعت:

طبعًا ظللت تضرب كفًا بكف..

فؤاد:

قلت لنفسي إن الوغد قد أجاد توقع تحركاتها.. لكنها فرت منه مرّة أخرى..

شريف:

والمرة الثالثة؟

فؤاد:

تكرر كل شيء.. وكاد الجنون يصيبني.. هل هما يتلاعبان بي؟ هل هما يمثلان دورًا ما في (السيما)؟ أنا أعرف هؤلاء الناس ممثلي (السيما).. إنهم يفعلون أي

شيء في أي مكان ويغضبون إذا ما أبديت دهشتك.. لكني لم أجد (كمرة) في الجوار..

على كل حال لم أستطع أن أفعل أو أقول شيئًا.. فكلاهما لم يقارف خطأ ما.. ما لي أنا وكل هذا؟

لكن - والله على ما أقول شهيد ـ كان الرجل أكثر يقظة.. لقد جلس جوار الباب متحفزًا وعيناه على الفتاة.. وأدركت أنه سيسبقها بسهولة لو أنها قررت الفرار..

كان الحل بسيطًا.. لهذا صحت ونحن ندنو من المحطة إياها:

ـ «افتح ورا يا (بيومي)!»

وانفتح الباب الخلفي فأشرت لها كي تهبط منه.. ولم تكذب خبرًا.. أمّا هو فلم يتوقع

هذه الخيانة.. نهض محاولًا اللحاق بها.. لكنّ...

- «اقفل ورا يا (بيومي)!»

وقد كان.. ودخل الرجل في شجار مرير معي.. إن الوغد سليط اللسان ويتمتع بقاموس شتائم غير مسبوق..

كان قد فاض بي.. لهذا أعلنت له أنني أشك في أنه يتحرش بهذه الأنثى البائسة مهيضة الجناح.. وأنني أعرف أنه يعرف أنّ هذا المشهد يتكرر منذ ثلاثة أيام..

ثم إنني قلت له إنني لن أسمح له بركوب هذه الحافلة ثانية.. فصاح في غل:

- «بأي حق؟ هل أنت مدير الهيئة؟ وزير المواصلات؟»

- «لا دخل للحقوق هنا.. أنا أستعمل شريعة الغاب..»

وهذا هو ما حدث بالضبط.....

في الليلة التالية صعدت الفتاة كالعادة وراحت تلتهم شطيرتها.. حاولت أن أخبرها بما كان، لكنّها لم تبد على علم بشيء..

كل ليلة تشعرني بأنني أراها لأول مرة.. وتتصرف بتحفظ كأنني وغد يضايقها أو أتحدث مع الشخص الخطأ..

ثم دنت المحطة التي ينتظر الرجل فيها.. وكان نفس الوضع المألوف لي كل ليلة.. وبيني وبينك قلت لنفسي: لو كان الوغدان

يريدان أن أجن فأنا كفيل بإصابة بلد كامل بالجنون..

ثم صحت في السائق أن يستمر دون توقف..

ولمحت الرجل يركض وراء الحافلة محتجًا.. ثم ذاب في الظلام.. وقلت لنفسي: إن الفتاة لو كانت تعابثني لبدت عليها الدهشة.. لكنّها ظلت حيث هي تنظر خارج النافذة في شرود.. وتلوك ما بفمها من طعام حتى تستغرق كل لقمة دهورًا.. كأنها.. كح كح!

كح كح! يا (عبده)! يا (عبده)!

(صوت غير واضح)..

هات حجرًا آخر..

رفعت:

يبدو أننا سنزيد من استهلاكك من (المعسل) هذه الليلة..

فؤاد:

لا عليك.. إن (عبده) القهوجي يقدم ألعن أنواع الدخان لنا.. يُقال إنّه يجفف الصراصير ويطحنها ويقدمها لنا، لكني أرى في هذا مديحًا لا يستحقه.. أين كنا؟ آه.. عندما تركت الرجل واقفًا على المحطة..

جاءت الليلة التالية وتكرر كل شيء..

لكن الرجل لم يظهر في محطته ولا أي محطة أخرى..

وتجاوزنا المحطة المعتادة التي تنزل فيها الفتاة هاربة.. وبعدها بثلاث محطات جاءت محطة مظلمة في منطقة مقطوعة من الخط.. وهنا رأيتها تتهيأ للنزول..

ما الذي يدعو فتاة تعيش في (السيدة زينب) إلى النزول في هذه المحطة - لن أذكر اسمها - وحيدة وفي هذا الوقت المتأخر؟

لا أدري.. لكني لم أتساءل كثيرًا.. هي حرة تمامًا في اختيار محطتها.. لكنى حين نظرت من النافذة رأيت رجلًا عريضًا يرتدي جلبابًا أزرق ويقف في ثقة بانتظار من ينزل!

هنا صحت في السائق أن يستمر دون توقف.. وبرغم احتجاجات الركاب القلائل الذين لم يفهموا سر تحكمي هذا.. كيف لا أسمح لها بالنزول ولا للرجل بالصعود؟

لكنّ الفتاة كانت قد رأت ما رأته.. وعلى وجهها الجميل تلاعبت بسمة خافتة.. بسمة عرفان بالجميل..

لكني لم أتوقع أكثر.. غدًا تصعد إلى الحافلة وكأنها لم ترني قط.. لقد أنقذتها مرارًا، لكنّها في كلّ مرّة تبدو كأنها نسيت كل شيء..

رفعت:

وما الذي يدعوها إلى ركوب ذات الحافلة كل ليلة؟ لماذا لا تطلب من قريب لها أن

يحميها؟

فؤاد:

علمي علمك.. أنا أحكي ما حدث دون نقص ولا زيادة..

شريف:

والليلة التالية؟

فؤاد:

لعدة ليال تكرر هذا الموقف بحذافيره.. وتعدل الفتاة عن النزول ويعجز الرجل عن الصعود.. وبعدها ـ عند نهاية الخط - تهبط هي بعد أن تقول لي (ميرسي).. وتغيب في الظلام...

ثم إن الرجل قام بخطوة جديدة.. في إحدى الليالي لم أجد الرجل على المحطة..

وتهيأت الفتاة للنزول.. وتحركت الحافلة مبتعدة عدة خطوات بينما أنا أرمق الفتاة من زجاج النافذة الخلفي.. هنا رأيت سيارة أجرة تتوقف ورأيت جلبابًا أزرق ضخمًا يخرج منها لينقد السائق ماله!

لقد لعبها ببراعة! هذه المرّة ركب سيارة أجرة ومشى وراء الحافلة بانتظار هبوط الفتاة.. فما إن هبطت حتى ترجل هو.. وها هو ذا قد صار وحيدًا معها في هذه المحطة المنعزلة..

(صوت قرقرة)..

هنا - والله على ما أقول شهيد - غلى الدم في عروقي.. أنا قد تربيت في الحارة ولا أملك ذرة من التهذيب... فقط يتظاهر

الإنسان بشيء من الخلق كي لا يُطرد من وظيفته.. ولا يعجبني الحال المائل بحال.. لهذا صحت في السائق أن يتوقف..

وجذبت المفتاح الإنجليزي الثقيل الذي نضعه تحت (المانفستو) ووثبت من الحافلة.. وعيناي تتقدان شررًا..

الليلة سأبيت أنا في التخشيبة ويبيت الرجل فوق منضدة التشريح..

لمست قدماي الأرض - وسط صيحات الاستفسار من السائق والركاب - ورحت أسابق الريح، راكضًا إلى حيث كان الرجل يمشي في همة وراء الفتاة التي لم تدر بوجوده.. وأنا أتأمل المفتاح الثقيل في قبضتي..

نويت أن أفتح رأسه أولًا، ثم أفهم وجهة نظره..

وهنا حدث شيء غريب حين رفعت عيني..

رفعت:

لم تجدهما..

فؤاد:

كيف عرفت؟

رفعت:

القصة هكذا دائمًا..

فؤاد:

هذا هو ما وجدت - والله على ما أقول شهيد - حين وصلت لمكانهما.. لا شيء

على الإطلاق.. الشارع المقفر المظلم في ضوء واهن لعمود نور واحد نسيت البلدية أن تهشّم مصباحه.. لا شيء.. لا فتاة.. لا رجل.. وكانت هذه هي المرّة الأولى التي لعب فيها الفأر في عبي..

عدت للحافلة وأنا أبسمل وأحوقل.. وصعدت أمام العيون المرتابة في حالتي العقليّة..

رحت أردد في حيرة: ألم تروهما؟ ألم تروهما؟

وخلصت بعد قليل إلى أن الجميع رأى الفتاة.. لم أكن أخرف.. لكنّ أحدًا لم ير الرجل ربما لأن أحدًا لم ينظر خارج النوافذ..

لكنهما تلاشيا.. ذابا..

وكانت هذه هي نهاية عهدي بالعمل ليلًا..

لقد توسلت إلى رئيس الحركة والملاحظ كي يتم نقلي إلى خط آخر.. وفي ضوء النهار.. وكذبت مئات الأكاذيب لأبرر..

أنت تفهمني يا د. (رفعت).. أنا لا أهاب أي شيء له لحم ودم وقلب ينبض.. لكني أموت في جلدي من كل ما لا أفهمه...

ومضت الحياة على نحو هادئ (صوت قرقرة).. فيما عدا المتاعب التقليدية لدى كل محصل يعمل في فترات الذروة.. وعلى خط كثيف أصلًا مليء بالمتشاجرين والمتزاحمين والهاربين من دفع ثمن التذكرة والمدعين.. لكنّ هذا هو عملي..

وذلك رزقي.. المهم أنني أفهم ما يدور حولي..

ولكني سمعت في مكتب المفتش ما أدار رأسي.. فزميلي هو الآخر يشكو من أشياء مريبة تحدث في أثناء عمله ليلًا.

أشياء تتعلق برجل ذي جلباب أزرق وفتاة شابة ترتدي السواد.. وهنا تدخل السائق العجوز عم (سعد)، وهو بالنسبة للهيئة كتمثال (رمسيس الثاني) لميدان المحطة.. أقدم شيء وعلامة مميزة لا يمكن تصوّر الهيئة بدونها...

إن عم (سعد) على المعاش لكنه يعمل في شيء ما لا أدري ما هو.. دائمًا هو هناك منهمك في كتابة أوراق أو التدخين أو.. هو

أول من يحضر صباحًا وآخر من ينصرف.. يبدو أنه لا يتقبل حقيقة أنه صار بلا عمل.. والكل يتقبل وجوده على كل حال.. فلا أحد يجرؤ على طرده أو سؤاله عن سبب وجوده معنا..

قال لنا عم (سعد) وهو يبصق - ومعنى هذا أن كلامه مهم - إن كثيرين ممن عملوا على هذا الخط ليلًا طيلة السنوات العشر الماضية، صادفوا ذات الموقف.. قال لنا إن هناك فتاة قتلت في إحدى المحطات منذ أعوام.. يبدو أن زوجها أرسل من يقتلها لسبب لا أدريه.. منذ متى كف الأزواج عن قتل زوجاتهم؟ إنهم يفعلون هذا طيلة الوقت.. المهم أن القاتل جرها وراء جدار وخنقها بحبل ليفي، وسمع الضجة أحد

الحراس الليليين فهرع ليرى، رأى المنظر ورأى القاتل ذا الجلباب الأزرق يحاول الفرار.. كان رد فعله سريعًا وأطلق رصاصة من مسدّسه الحكومي.. وسرعان ما تكوم القاتل على بعد أمتار من ضحيته..



فيما بعد انهار الزوج واعترف بأنه استأجر الرجل ليفعلها..

(صوت قرقرة)..

رفعت:

ومن يومها ومشهد المطاردة يتكرر في حافلات الهيئة.. كل ليلة في ذات الوقت تقريبًا..

فؤاد:

عليك نور.. واضح أنّ هذا هو ما حدث بالضبط يومها.. يقولون إن روح القتيل والقاتل لا تهمدان أبدًا.. أعوذ بالله.. لقد اقشعر جلدي..

رفعت:

بعض الأشباح تمارس ألعابًا من هذا النوع.. يسمونها (البولترجايشت) Poltergeist.. وهو لفظ ألماني معناه الحرفي (الأشباح التي تدق).. ويبدو أن

هذين الاثنين يتسليان بتكرار ما حدث يومها..

فؤاد:

لا أفهم ما ترطن به.. أنا أمقت أسلوب الأفندية هذا حين يسمون كل شيء واضح باسم يستحيل فهمه..

رفعت:

لا عليك.. أنت محق.. فالرطانة هي داء المثقفين.. يسمون حلاوة اللسان (ديماجوجية) والفقراء (بروليتاريا)، ويسمون النفعي (براجماتي).. دعنا من الرطانة وقل لي ما استنتجته..

فؤاد:

لم أستنتج شيئًا.. فقط قررت أنا واثنان من رفاقي - عيال جدعان حقًّا ـ أن نركب الحافلة معًا هذه الليلة لنرى ما يحدث بالضبط.. وقد كان..

جلسنا مع المحصل - وهو ولد من (العتبة) له قلب أسد - ورحنا نثرثر ونتكلم.. وهنا دنت المحطة إياها..

وفي صمت رأينا الفتاة تصعد إلى الحافلة وتدفع ثمن تذكرتها، ثم تجلس في مقعدها المختار جوار النافذة.. وتخرج شطيرتها إياها..

بعد دقائق صعد الجدار ذو الجلباب الأزرق وجلس على مقربة منا.. وكالعادة لم يبد عليه أنه لاحظ وجود الفتاة..

وهنا هزّ المحصل يدي.. كان يشير إلى جيب جلباب الرجل حيث جلس.. لماذا يحمل الإنسان حبلًا غليظًا من الليف في جيبه هو من الضخامة بحيث يتدلى طرفه خارج الجيب؟

شريف:

هل شعرتم بخوف؟

فؤاد:

بالعكس.. لا شيء على الإطلاق يثير الخوف في مظهرهما.. مجرد شخصين عاديين تمامًا.. حتى إنني شككت في الموضوع كله..

إن هي إلا دقائق حتى توقفنا أمام المحطة التي اعتادت الفتاة النزول فيها.. فما إن

نزلت حتى تبعها الرجل.. بالطبع لم يتدخل أحدنا هذه المرّة حتى نرى ما سيحدث..

وعلى الفور انسللنا - نحن الثلاثة - وراء الرجل والفتاة، ورحنا نقفو أثرهما على مسافة معقولة..

تواريا وراء جدار عند نهاية الممشى (صوت قرقرة) فأسرعنا نهرول لنرى ما يحدث فلا يفوتنا شيء..

وأمام عيوننا المذعورة رأينا الرجل يحيط عنقها بالحبل، ولمحناها تحاول المقاومة.. عندها نسينا من نواجه بالضبط واندفعنا صارخين محاولين منعه..

وهنا وجدنا الشيء ذاته..

لا شيء سوى شارع خاو يتألق بصعوبة تحت انعكاس مصابيح واهنة لا جدوى منها...

لقد تلاشت الرؤيا.. ذابت كأن لم تكن...

وعندها - فقط - تملكنا الذعر.. وعدنا نتخبط إلى بيوتنا..

رفعت:

حسن.. تلك هي الحقيقة إذن.. وهل من جديد في القصة؟

فؤاد:

لا شيء.. كنت أريد رأيك..

رفعت:

هل تتكرر هذه القصة حتى اليوم؟

فؤاد:

ليس دائمًا.. وعلى كل حال لقد تعلم راكبو وسائقو هذا الخط أن يتجاهلوا أى فتاة ترتدي السواء يطاردها رجل ذو جلباب أزرق.. فمن الواضح أنهم لا يؤذون أحدًا.. تلك (الأشباح التي تدق) على حد كلامك.. كح كح!

شريف:

لكنهم يثيرون الرعب.. وهذا كاف جدًا لجعلهم مؤذين.. إنهم يخالفون نواميس الحياة التي نعرفها.. وهذا يكفي لجعلي أقشعر..

فؤاد:

ما يثير الغيظ هو أن أحدًا لا يصدقك.. كلما حكيت القصة لواحد راح ينظر لك كأنك أبله..

رفعت:

ليس من رأى كمن سمع.. وأنا نفسي لن أصدق ما تقول حتى أراه..

فؤاد:

والآن إلى اللقاء.. لقد صدعت رأسك بقصتي هذه.. (يضع السماعة)..

رفعت:

لا عليك.. يبدو أنها نهاية الحلقة يا (شريف).. (رنين الهاتف)..

شريف:

لحظة**!** آلو**!** برنامج (بعد منتصف الليل)..

صوت امرأة:

أنا (فاتن).. ربة بيت.. أعود بالحافلة إلى داري مساء بعد زيارة أمي.. هناك فتاة تركب معي يريبني أمرها.. فتاة ترتدي السواد وتلتهم الشطائر.. ثم يصعد إلى الحافلة رجل يرتدي جلبابًا أزرق.. و................

❋ ❋ ❋



الحلقة السابعة

بس بس.. ناو..!

تحكيها : مها شوقي

الحلقة السابعة
(بس بس.. ناو..!)

تحكيها: مها شوقي

«أي ذعر شعر به اللص البائس وهو يرى قطة آدمية.. تنقض عليه من بين أشجار الحديقة لتمزقه.. وتجره نحو البوابة وهي تزوم وتزمجر؟»

المقـدمــة

شريف:

صباح الخير.. ها هو ذا برنامجكم الممتع (بعد منتصف الليل).. هل أنتم جالسون جوار أجهزة الهاتف؟ حسن.. أديروا القرص.. واطلبوا رقمنا.. إن صاحب الحظ السعيد الذي سيسبق الآخرين هو وقود آلة الرعب لهذه الليلة..

رفعت:

صاحب الحظ السعيد الذي سيجد حرارة في جهاز الهاتف

شريف:

ترى عم سيحدثنا؟ عن جني يتربص به؟ عن قبر مفتوح؟ عن شبح يجول في منزله؟

رفعت:

عن امتحانات الثانوية العامة التي صارت على الأبواب؟

شريف:

كلها أشياء مخيفة.. لهذا هي جذابة شائقة..

(رنين الهاتف)..

آلو؟ من يتحدث؟

صوت فتاة رقيق:

أنا (مها شوقي).. أظن أنّ هذا برنامج (بعد منتصف الليل)..

شريف:

لو كان جهاز المذياع مفتوحًا يا (مها) فأنت تسمعين صوتك خارجًا منه.. وإنها لتجربة غريبة حقًّا.. تتحدثين في الهاتف فينبعث صوتك من المذياع!

مها:

أنا أحب برنامجكم وأحب (رفعت إسماعيل) غريب الأطوار الملول الساخر من كل شيء.. إنّه يذكرني بالشاعر (ابن لنكك) الذي سخر من كل شيء حتى نفسه.. وبرغم كل شيء أراه جميلًا..

رفعت:

هذا يسرني يا.. آنسة؟

مها:

نعم..

رفعت:

هذا يسرني يا آنسة (مها).. إنك تقولين ذات الأشياء التي أقولها عن نفسي، والتي لا يراها أحد في شخصي.. أتعشم أن يكون وجهك في جمال بيانك.. إن المرأة الوحيدة التي أبدت إعجابها بي كانت المرحومة أمي.. وكانت تعاني ضمورًا في شبكية العين..

مها:

إن موضوع الجمال هو سبب كل ما حدث..

دعني أقدم نفسي أولًا.. أنا (مها شوقي).. طالبة في كلية الآداب.. لست من النوع

الذي يُمكنك وصفه بالقبح مهما تجنيت.. لكني - كذلك - لست (صوفيا لورين).. أحيانًا أكون عملية إيجابية جدًا..

وأحيانا أشعر بأنني هشة تعسة وأنني J'ai Bessoin de Tenderess..

رفعت:

ما.. ماذا قلت؟ إن لغتي الفرنسية.....

شريف:

تقول إنها بحاجة إلى الحنان.. أرجوك استخدام العربيّة يا مها..

مها:

ليكن.. باردون.. إن حالتي المالية لا بأس بها.. فعندي سيارة خاصة بي.. ولدى أثواب بعدد أيام السنة.. وأبي يملك كل

شيء ويعرف كيف يحقق الأشياء الباقية.. لكنى تعسة يا د. (رفعت).. تعسة..

كنت أشعر بالفراغ.. ولم يعد النادي قادرًا على إسعادي.. قرأت كثيرًا جدًا بالعربية والفرنسية، لكني فقدت القدرة على الاستمتاع.. فهي مجرد كلمات يخدعوننا بها متظاهرين بأنهم يفهمون الحياة..

إنها المرارة.. إنّه الألم.. إنّه القنوط..

رفعت:

أفهم ما تقولين.. أحيانًا يخيّل إلى أن الاستمتاع بالحياة يعتمد على غدة معينة في جسدنا.. فلو انتزعت أو فشلت لما صار شيء قادرًا على إسعادنا.. لا بد أن (هيمنجواي) أديب أمريكا العظيم شعر

بشيء كهذا وهو يضع ماسورة البندقية بين شفتيه، ويضغط الزناد بإصبع قدمه.. لقد فعلها في ذروة مجده وانتصاره..

مها:

هناك من يسميه الفراغ.. ربما.. لكني لن أتردى إلى هاوية الابتذال لأقول لك: (المال لا يجلب السعادة).. كلا.. هو يجلبها ولكن لنفوس مستعدة لأن ترضى به...

شريف:

هلا تحدثنا عن قصتك غير العادية ونسينا هذه الدهاليز النفسية؟

مها:

نعم.. نعم.. كنت أحاول أن أوضح أن من يمرّ بحالي يكون على استعداد كي يخوض

أغرب التجارب... لمجرد التجديد...

بدأ الأمر حين حدّثتني صديقاتي عن مدام (ليليان).. بعضهن قلن للأخريات، وبدأ عدد من يعرفن الأمر يتزايد.. ثم دعتني إحداهن لزيارتها..

إن مدام (ليليان) تسكن في فيللا من طابق واحد في أحد الأحياء الراقية بالقاهرة.. ليكن (الزمالك) أو (المعادي) أو (جاردن سيتى).. لا يهم.. امرأة من أصل أرمني هي تعيش وحدها بعد وفاة زوجها..

كنا هناك في الثامنة مساء.. وكان هناك كلبان شرسان مربوطان بالسلاسل، وخادم نوبي عجوز.. قادنا إلى الباب..

وفي داخل الفيللا كانت هناك قاعة فسيحة ملأى بالطنافس المبعثرة على الأرض.. ورائحة بخور تعبق الجو.. مع إضاءة حمراء كتلك التي لا تتخيل مساكن الجن إلا بها..

أما الغريب في الموضوع فهو عشرات ـ هل أقول مئات؟ ـ القطط تلهو أو تغفو هنا وهناك.. كل قطة تتصور شكلها أو رأيتها في دائرة معارف يمكن أن تراها هناك.. وكلها مكتنزة تشي بالصحة وحسن التغذية..

أما مدام (ليليان) نفسها فامرأة فاتنة.. صحيح أنها في الأربعين من عمرها لكنّها في أفضل حالاتها، كتفاحة في ذروة النضج قبل أن تذبل وتتجعد، كانت فارعة

القامة ذات عينين زرقاوين شديدتي الجمال، وثمّة خصلة من الشعر الأبيض في مقدمة رأسها وسط الخصلات السوداء، لا أدري هل هي صناعية أم لا..

وكانت ترتدي روبًا احمر أنيقًا..

وعلى كتفها الأيمن كانت تنعس هرة إيرانية (ملظلظة) بشدة.. كتلة من الدهن المغطى بفراء أبيض نظيف..

كانت هناك أشياء غريبة كثيرة خطفت بصري..

صور عملاقة للقطط على الجدران.. قطط محنطة وقفت متخذة أوضاع القنص.. تماثيل فرعونية للربتين (سخمت)

و(باستت) بما في منظرهما من صلة بالقطط..

صديقاتي حدثنني عن هذا كله لكني لم أتصوره قط..

كانت هناك ست فتيات يعرفن المكان جيدًا، وقد اتخذت كل منهن مجلسها على إحدى الطنافس، وأمسكت هرة غافية تداعب فراءها في حنان..

أما مدام (ليليان) فقد قالت لي في لطف:

ـ «أوه.. انشانتيه.. هل أنت (مها)؟»

كان في لكنتها طابع أجنبي محبب للنفس..

- «نعم هي..»

قالت وهي تقودني إلى إحدى الطنافس:

- «قطة جميلة هي أنت يا (مها).. تعالي لتجلسي مع أخواتك الهرر..»

مجاملة رقيقة.. وخطر لي هنا أن المرأة - هي نفسها - أقرب إلى قطة آدمية.. كل شيء فيها (قططي) بشكل أو بآخر..

رفعت:

إن التشابه بين المرأة والقطة قديم حقًّا.. وهناك من أضاف إلى هذا فوجد تشابهًا كبيرًا بين الرجل والكلب!

شريف:

هذا يضايقك حتمًا.. فأنت رجل لا كلب..

رفعت:

بالعكس.. كانوا يتحدثون عن إخلاص الرجل وثباته وشجاعته وصبره.. أمّا

المرأة فيتحدثون عن نعومتها وتقلبها وشراستها أحيانًا.. وميلها للكسل.. وحرصها على مظهرها..

مها:

يصعب عليّ دومًا أن أتخيّل وجود قط ذكر أو كلبة أنثى.. ما علينا.. المهم أن مدام (ليليان) جعلتني اجلس.. ثم دارت امامنا وجلست.. وراحت تقول وهي تداعب قطتها:

- «إن كل فتاة هي قطة في أعماقها.. وما نحن بصدده وما نقوم به يتركز في أن نشعر بـ (قططيتنا).. إن القط هو أسعد كائنات الله.. فهو جميل مستقل بشخصيته.. يعرف كيف يستمتع بالحياة.. إنّه ليس

مهددًا بالذبح كالأرنب ولا مكلفًا بالسهر في الشارع البارد يعوي كالكلب.. ولا هو كريه وحيد كالأفعى.. ولا هو مهدد بطلقة تنهي حياته كالعصفور..

إن القط كائن رائع.. قوامه الاسترخاء وعماده الثقة بالنفس.. ودعمه الوحيد في الحياة هو حبنا له..

تقول الأغنية الفرنسية: أحبوا الحياة كما يحبّها القط الصغير..

ويقول (شكسبير) في (كما تحبها): أنظر إلى الهريرة وقد أفعمها المرح.. إذ تتريض في الشمس المتألقة..»

(بالطبع قالت هذه الاقتباسات بأصولها الإنجليزية والفرنسية)..

رفعت:

هل أنت واثقة أنّ هذه المرأة ما كانت تبشر بنوع من عبادة القطط؟

مها:

شككت في هذا.. قلت لنفسي: هي ذي يا (مها) جمعية سرية أخرى تمارس عقيدة حمقاء.. ولن يمرّ شهر حتى يحتل خبر القبض على أفرادها ـ بوساطة أمن الدولة ـ مكانًا بارزًافي صفحة الحوادث..

لكن كلام المرأة راق لي..

كانت تدعونا إلى أن نقلد القط ولا تدعونا لعبادته والعياذ بالله..

بل إنها قالت صراحة إن الفراعنة في بحثهم المتخبط عن سر الخلق، عبدوا القط

في صورة الربة (باستت) التي ما زال معبدها في الزقازيق الحالية.. لكن هذا هراء..

ثم سألتنا: لماذا يقول الناس إن القط له سبعة أرواح؟ لماذا يقر القط حين ينام؟ لماذا يتشاءم الناس من القط الأسود؟ لماذا تتبدل عين القط كدورة القمر؟

كلها أسئلة بلا جواب..

كلها تقول إن القط كائن غير عادي.. والناس يحبونه بقدر ما يخشونه.. فهو يجمع شراسة النمر ووداعة اليمامة ورشاقة الغزال..

ثم بدأ الحفل.. ويا له من حفل**!** حفل جدير بالقط (توم) حقًّا..

كانت هناك أطباق اللحم.. كثير من اللحم..

رفعت:

هذا غريب**!** كل هؤلاء المتأملين نباتيون في العادة.. وهل أنت واثقة من أنّه لم يكن لحم فئران؟**!**

مها (متقززة):

يع ع ع**!** لا تمزح في هذا يا د. (رفعت)**!** كان لحمًا بقريًا.. ومعه كثير من السمك.. ودارت كئوس اللبن البارد.. أنا لا أحب اللبن، لكنّ هذه المرأة استطاعت أن تجعلني أحبه..

كانت تقول طيلة الوقت:

- «هيا يا بنات.. إن القط يعتمد على هذه المواد ليغدو ذلك الكائن الرائع.. لم لا نحاول أن نستخلص منها أروع ما فيها؟ لم لا نمنح أنفسنا الفرصة؟»

تقول هذا وتصدر صوتًا ناعمًا هادئًا من حلقها.. ثم تتكور حول نفسها على الأرض.. ولا أبالغ إذا قلت إنها تموء في رضا...

الأخريات أيضًا لم يكن على ما يرام.. كن بدورهن يصدرن أصواتًا غير طبيعية، ويتكورن حول أنفسهن..

وبعد قليل وجدت أنني أحذو حذوهن..

رفعت:

لا يبدو جوًا صحيًا مريحًا للنفس..

مها:

بتاتًا.. لكني اندمجت فيه.. مثلما نندمج في حفلات الزار ونجدها فرصة طيبة لإخراج النزعات الدفينة..

نفس الشيء حدث يومها.. وبعضنا غرق في بكاء هستيري.. وبعضنا راح يرتجف كالورقة.. هل تعرف مكانًا آخر في العالم يُمكنك فيه أن تصرخ وتضرب الأرض بقدميك.. أو تنفجر ضحكًا؟

رفعت:

لا أعرف سوى المصحة النفسية.. الحق أنّ هذه المرأة القط قد كانت طبيبًا نفسيًا بارعًا..

مها:

كل شيء كان غريبًا جميلًا جديدًا.. وحين افترقنا ـ في نهاية الأمسية ـ عرفت أنني سأعود..

قالت لي على الباب وهي تلثم خدي:

- «أوصيك بنظافة الجسد.. فهكذا تفعل الهرة الطيبة، أوصيك باستعمال هذا الدهان ليجعل لك عبق الهرة، أوصيك بشرب الحليب ثلاث مرات يوميًا، يُمكنك إحضار من تشائين من صديقاتك لكنّ لا رجال..»

وتركتها وعقلي يدور.. هي ذي تجربة مثيرة حقًّا يمكن أن تعزيني عن كل هذا الفراغ الذي أعيش فيه..

وفي اليوم التالي ابتعت قطة بارعة الجمال من أحد محال الحيوانات الأليفة في

(الزمالك).. لقد آليت أن أمنح وقتًا أكثر لمعرفة هذا الكائن الساحر..

سألت أترابي عن هذه المرأة وماذا تريد...

قلن لي إن هذه المرأة - بعد موت زوجها - عاشت مع قططها، لا تحلم بشيء سوى أن يتحدث العالم ويفكر ويحلم بالقطط..

ربما هي مخبولة.. هذا واضح تمامًا.. لكنّ المخابيل قد يتمتعون بقوّة نفسية غير معقولة تؤثر فيمن حولهم.. وتريحهم...

شريف:

وهل استعملت الدهان إياه؟

مها:

طبعًا.. بحذر شديد في البداية.. ثم وجدت أنه يجعل بشرتي أنعم.. مع مسحة من صفاء نفسي عطر.. واعتدت استعماله..

وحين ذهبت هناك للمرة التالية: طلبت منا في أدب أن ندفع مبلغًا رمزيًا تحتاج إليه لإطعام قططها..

شريف:

آها! إذن عملية النصب تتضح..

مها:

لا أظن.. إن عشرة جنيهات تدفعها فتاة ثرية مثلي أربع مرات شهريًا ليست بالأمر المؤذي.. ثم إنها لم ترغمنا على شيء..

كانت تضع صندوقًا أمامنا وتتركنا وشأننا.. فمن شاءت الدفع فيها وإلا فلا لوم

عليها..

رفعت:

وهل كان برنامجكن ثابتًا في كلّ مرّة؟

مها:

لا.. أحيانًا كنا نرى أفلامًا ملونة تعرضها بجهاز عرض صغير.. نرى فيها قططًا تتوالد وتلهو وتصطاد الفئران.. أحيانًا كنا نتأمل صورًا للقطط.. وأحيانًا كانت تدعونا للتأمل ككل مدربي (اليوجا) المحترفين.. ولقد تزايدت مشاعري الإيجابية وازددت ثقة بنفسي.. وازدادت حواسي رهافة..

رفعت:

ومتى شعرت أن الأمور ليست على ما يرام؟

مها:

ومن قال إنني شعرت بشيء كهذا؟

رفعت:

لابد أنّ هناك سببًا لاتصالك عدا شعورك بالهناء الروحي..

مها:

لا أدري متى بدأ هذا.. ربما بعد شهرين أو أكثر من تعرفي مدام (ليليان).. المهم أنني لاحظت رهافة غير عادية في حواسي.. صرت أسمع صوت خطوة النملة كما يقولون.. أسمع همسات الناس وضوضاءهم وصوت أنفاسهم الثقيلة..

لكم ضايقني هذا! صرت أصحو من نومي بسهولة غير عادية فأتمطع

وأنهض.. لمجرد أن ورقة شجر قد سقطت من فوق غصنها في الحديقة.. قلت لنفسي إنني متوترة لا أكثر..

بعد هذا مررت بتجربة أثارت قلقي..

في تلك الليلة نهضت من نومي قلقة.. وأردت أن أرتب الأشياء التي عليّ أن أقوم بها في الكلية غدًا..

أمسكت بالورقة والقلم وكتبت ما ينبغي أن أقوم به.. ثم عدت إلى الفراش ونمت...

في الصباح أيقظتني أمي من النوم وقالت إنني أصدر صوتًا غريبًا بحنجرتي وأنا نائمة.

على مائدة الإفطار رحت أعب الحليب.. وألتهم الجبن والبيض بنهم لا أدري لماذا

صرت أمقت الحلوى الطحينية والفول؟!

سألني أبي وهو يطالع الجريدة:

- «ماذا فعلت عندما انقطع التيار الكهربي أمس؟»

- «هـ.. هل انقطع التيار؟»

- «بالطبع يا (مها).. من العاشرة مساء حتى الفجر.. ألم تشعري بهذا؟»

- «يـ.. يبدو أنني نمت مبكرًا فعلًا..»

كنت حقًّا قد دخلت فراشي في تمام التاسعة.. لكنّ.. كيف لم ألحظ؟ كيف نهضت في الظلام الدامس وكتبت ما كتبت؟!

هناك تفسير واحد.. هو أنني صرت أرى ليلًا!

رفعت:

وهل سرك هذا؟

مها:

حتمًا لا.. إن قدرات الإنسان المحدودة هي التي تجعله إنسانًا.. ولو تبدل شيء منها فهذا مخيف أكثر منه سارًا.. تصوّر أنك جرحت إصبعك فلم ينزف دم.. هل يسرك هذا؟

رفعت:

هذا حق.. حتى الألم هو تعبير عن إنسانيتنا وصحتنا.. لو أنك لامست النار ولم تصرخ ولم تحس بألم، لكان هذا دليلًا على إصابتك بالجذام أو زهري الجهاز العصبي..

مها:

لقد أصابني الهلع.. وهرعت إلى مدام (ليليان) أسألها..

بدا السرور على وجهها وقالت:

- «هذا هو الطريق السديد يا ملاكي.. إنك تتعلمين من القطط بسرعة كبيرة.. لقد صرت مرهفة الحس خارقة القدرات.. لقد كان كل هذا موجودًا من البداية لكنك غطيته بغبار إنسانيتك.. اليوم زال الغبار.. وعاد كل شيء براقًا جميلًا كما خلقه الله.. أنت جديرة بأن تُحسدي..»

رفعت:

طبعًا لا أظنك من السذاجة بحيث تجهلين أن الدهان يحوي شيئًا..

مها:

للأسف لم يخطر هذا ببالي قط.. إن الأمر كله يبدو سخيفًا غير قابل للتصديق..

ولقد سألت صديقاتي عن أعراض مماثلة لكنهن سخرن مني جميعًا.. لكني لا أكتمك يا د. (رفعت) أنني لاحظت لديهن رهافة حواس غير عادية.. ذات مرة صرخت إحداهن في المحاضرة، إنها تشم رائحة حريق.. وحدث هرج ومرج.. وغادر البعض المدرج..

فيما بعد عرفنا أن أحدهم أحرق ورقة في الفناء.. أي على بعد مائة متر من مكاننا تقريبًا...

وكان بوسع واحدة منا أن تعرف نوع الطعام الذي يعده مطعم المدينة الجامعية، وهي على بعد نصف كيلومتر منه..

في هذه المرّة اتجهت إلى فيللا مدام (ليليان) في حزم.. كنت أريد أن أعرف تفسيرها..

كانت متحفظة باردة وهي تداعب قطتها المفضلة.. ثم قالت في كياسة إنها قدمت لنا هدية ثمينة يعجز عقلنا القاصر عن فهمها..

- «لماذا تظنين بشرتي لم تشخ ولم تتجعد؟ لماذا أنا مرحة أعرف كيف أستمتع بحياتي؟ لأنني عرفت كيف أحيا كقطة.. أفكر كقطة وأنام كقطة وآكل كقطة..»

ودون اكتراث قالت لي إنها تنتمي إلى جيل عريق من كاهنات (باستت) قطة الفراعنة المقدسة.. لقد توارثت أسرتها هذا الفن جيلًا بعد جيل حتى بعد رحيل بعض الأجداد إلى (أرمينيا).. ومفتاح هذا الفن يكمن في الدهان المقدس الذي ينقل صفات القطط إلى الإنسان...

كاهنات (باستت) عرفن كيف يصنعنه.. ولم يدون السر على ورق قط بل تناقلنه لفظًا...

ثم قالت لي بذات المرح إن الدهان سيظل يعمل عليّ.. سواء أردت أم لم أرد.. توقفت عن استعماله أم واظبت..

صحت فيها إنني سأبلغ الشرطة..

ضحكت وقالت:

ـ «هذا شأنك يا قطتي.. ماذا سيجد البوليس عندي؟ وما هي فرصتك في أن يصدقوك؟ دعك من عدم وجود شهود.. يجب أن تمنحي ذاتك لـ (باستت)... هذا هو الخلاص الوحيد..»

تركتها حائرة لا أدري ما أصنع ولا ما أقول..

شريف:

لم تبلغي أهلك بما حدث؟

مها:

أبلغهم بماذا؟ بأن هناك امرأة تهوى القطط؟ وهي كاهنة من كهنة (بوباسطي)؟ ظننتك أكثر واقعية يا أستاذ (شريف)..

على كل حال لم يكن الأمر بهذا السوء..

لقد تمكنت من سماع لصين ينويان اختطاف حقيبتي في أثناء خروجي من الكلية.. كانا يتهامسان على بعد خمسين مترًا، لكني سمعت كل شيء.. ووضعتها تحت إبطي في الوقت المناسب ورجعت أدراجي..

تمكنت من إيقاف أكثر من حريق قبل أن يتفاقم..

لكن الأمر صار لا يطاق مع موضوع الفئران**!**

رفعت:

فئران؟ هل تعنين؟

مها:

نعم.. ذيول فئران في درج مكتبي.. لا أدري كيف ولا متى.. مستحيل أن أرى فأرًا في يقظتي دون أن يغشى على.. لكني لا أدري ما حدث وأنا نائمة! د.(رفعت).. أعتقد أنني أصطاد الفئران في الحديقة ليلًا بينما أهلى نيام!!

رفعت:

يا للهول! أنت لا تمزحين يا (مها)..

مها:

حتمًا لا.. إنني أفعل في غفلتى أشياء غير مفهومة.. ذات مرة شرد ذهني وأنا أمشي في الحديقة وحين أفقت وجدت أنني قد اصطدت ثلاث فراشات ويعسوبًا.. بضربة

واحدة.. وبانعكاس حركي لا يصدر إلا عن قطة.

(تتنهد).. بعد هذا جاء موضوع اللص..

لا بد أنه تسلل إلى حديقتنا ليلًا.. لا بد أنه أحمق.. لا بد أنه أحدث جلبة ما.. لا أدري كيف مات.. لقد وجوه رجال الشرطة ميتًا على بعد خطوات من بوابة الدار.. كان ممزقًا بفظاعة.. آثار أظفار وأنياب.. وجهه يكتسي بقناع الرعب.. وقال الطب الشرعي إنّه لم يمت بجراحه بل مات بالصدمة العصبية.. لقد رأى ما يخيف..

لقد بحثوا كثيرًا عن كلب مسعور أو ذئب يجول في المنطقة دون جدوى.. أبي يقول

إنها العناية الإلهية.. لا جدال في ذلك.. لكنّ هناك عنصرًا آخر لا يفهمه أحد..

نسيت أن أقول لك إن كلبنا لم يفعل ذلك.. لقد مات كلبنا المسكين (ركس) مسمومًا بيد أثيمة قبل الحادث بشهرين..

إن كراهيتي للكلاب تتزايد يومًا بعد يوم.. لكني لا أصدق أن أفعلها..

د. (رفعت).. هل حقًّا تظن أنني (مقطوطة)؟!

رفعت:

(مقطوطة)! على وزن (مذءوبة).. تعبير جيد يا (مها).. لو كانت قصتك صادقة فالأمور لا تأخذ منحى آخر..

أي ذعر شعر به اللص البائس وهو يرى قطة آدمية تنقض عليه من بين أشجار الحديقة لتمزقه.. وتجره نحو البوابة وهي تزوم وتزمجر؟!

بالمناسبة يا (مها)... أظن أن اسمك ليس (مها) كما هي العادة في هذا البرنامج.. إن هذا يجلب متاعب هائلة لك..

مها:

بالطبع.. لكنّ اسمي قريب جدًا من هذا..

رفعت:

ليكن يا (مهيتاب).. ماذا حدث بعدها؟

مها:

لا تتذاك عليّ.. ودعني أكمل قصتي..

كنت أقول إن حالة التحول القططي هذه تحدث دون أن أشعر بها حين يجن الليل.. وأخشى ما أخشاه هو أن أوذي أحدًا دون أن أدري.. هل تنصحني بعلاج نفسي؟

رفعت:

أقترح أن ألقاك أولًا يا من ليست (مها) ولا (مهيتاب)..

شريف:

لا أظن أنها فعلت ما فعلته.. كيف لم تلوث الدماء ثيابها؟

رفعت:

هكذا القطط.. تلعق فراءها ومخالبها بعد الافتراس لتعود أنظف مما كانت..

بالمناسبة.. أرى أنك لم تتحولي بعد برغم أنها الثانية صباحًا..

مها:

لا أدري.. عسى هذا لا يحدث أبدًا.. د. (رفعت).. إنني مذعورة.. مذعورة حقًّا وأريد أن تساعدني Je suis un autre يا د. (رفعت)[9]!

رفعت:

الله يعلم كيف.. لكني سأحاول.. ألقاك في مكتبي بالكلية غدًا إن شاء الله.. هل تريدين شيئًا آخر؟

مها:

لحظة.. (صوت قرعات على الباب).. إن هذا.....

صوت امراة:

(مُهرة).. هل تسمعين المذياع الآن؟ ثمّة فتاة صوتها كصوتك تحكي مشكلة مضحكة.. (مُهرة).. ما كل هذا الظلام؟ ولكن الهاتف معك.. من تحدثين؟ يا للهول! ماذا دها عينيك؟ إنهما تتوهجان.. (مهرة)! إذن فأنت التي نسمعها الآن في المذياع!!

(مُهرة)! لاااااه!

❋ ❋ ❋



الحلقة الثامنة

من أنــا ؟

يحكيها : رفعت إسماعيل

الحلقة الثامنة
(من أنا؟)

يحكيها: رفعت إسماعيل

«ما هو الدليل على كينونتي؟ ما الذي يجعلني أنا؟»

المقـدمــة

شريف:

حلقة جديدة من برنامجكم (بعد منتصف الليل).. (شريف السعدني) معكم وضيفكم الدائم د. (رفعت إسماعيل).. أرجو أن تكونوا قد تأكدتم من أن الأطفال قد ناموا وأن نافذة الحمام مغلقة..

رفعت:

وأن الباب موصد بإحكام.. وأن تكونوا قد تفقدتم خزانة الثياب وألقيتم نظرة تحت الفراش.. فالأشياء التي لا تريدون أن تأتي تكون هناك دائمًا..

شريف:

لا تثر ذعرهم يا د. (رفعت)..

رفعت:

كل أطفال أوروبا وأمريكا يتحدثون عن (رجل الخزانة).. فكل طفل هناك يذكر شعوره حين نام وحيدًا في حجرته للمرة الأولى، وراح يرمق خزانة الثياب في جزع متوقّعًا أنّ هناك من ينتظر فيها..

شريف:

وصلتني مكالمات هاتفية عديدة بخصوص حلقة الأسبوع الماضي.. يقولون إن تحول إنسان إلى ذئب عندما يكتمل القمر أمر سخيف.. وإن هذا البرنامج هو

فريسة سهلة لمجموعة من مؤلفي القصص والكاذبين وهواة التمثيل..

رفعت:

لا أدري.. أنا لم ألق مذءوبًا حقيقيًا حتى اليوم..

شريف:

لكن الذنب ليس ذنبنا.. فنحن نفترض الصدق في كل من يتصل بنا.. والمستمع هو من يمد آلة الرعب بوقود القصص حتى تعمل ولا تتوقف أبدًا..

رفعت:

للمرة المليون**!** إن لك مزية مهمّة يا (شريف) هي الإصرار.. مع عجز تام عن الشعور بالحماقة..

شريف:

أشكرك..

رفعت:

إن الذين لا يخشون أن يبدوا سمجين لهم قوم جديرون بالاحترام.. ولهم الأرض بما عليها ومن عليها..

(رنين الهاتف)..

هو ذا زبون الليلة..

شريف:

آلو.. هنا برنامج (بعد منتصف الليل).. من يتحدث؟

صوت رزين:

هل الكهل (رفعت إسماعيل) معك؟

شريف (مندهشًا):

يبدو لي الصوت مألوفًا.. إن د. (رفعت) معي.. لكننا نحافظ على الكلفة يا سيدي ونحرص على الألقاب.. فهلا تجنبت النعوت التي تدنو من الإهانة؟

الصوت:

أليس كهلًا؟ ولكنك قوى الملاحظ يا أستاذ (شريف).. إن نبرات الصوت واضحة تمامًا.. قل شيئًا يا د. (رفعت)..

رفعت:

ماذا أقول؟ إن بلاغتك تكفي شعبًا من البكم ليشفى للأبد..

شريف:

ذات الصوت**!** أنتما تملكان ذات الصوت بذات المقاطع**!** من أنت يا سيدي؟

الصوت:

أنا د. (رفعت إسماعيل)**!**

شريف:

ونفس الاسم أيضًا؟ إنها لمصادفة**!**

الصوت «سنسميه (رفعت إسماعيل) تمييزًا له عني»:

بل أنا هو.. أنا مجموع الصفات والعلامات والطباع التي اصطلح على تسميتها (رفعت إسماعيل)..

رفعت:

هذا مثير! إن المرء لا يتلقى مكالمة من نفسه كل يوم.. وماذا أكون أنا إذن يا د. (رفعت إسماعيل)؟

رفعت إسماعيل:

لا أدري.. كل ما أعرفه هو أنني (رفعت إسماعيل)..

شريف:

لحظة.. إن اسم (رفعت إسماعيل) شائع حقًّا.. ومهنة الطبيب شائعة تمامًا.. إن الأمر مصادفة طريفة لا أكثر ولا أقل..

رفعت إسماعيل:

حسن.. لنقل من أنا.. لنعرف ما أعنيه بالضبط..

أنا د. (رفعت إسماعيل) ابن قرية (كفر بدر) بمحافظة الشرقية.. توفي أبي في الصغر ورحلت مع خالي إلى المنصورة.. ثم درست الطب في (القاهرة).. وسافرت في بعثة دكتوراه إلى (أسكتلندا).. وعدت من هناك لأنشئ وحدة أمراض الدم بالكلية..

شريف:

هذا تاريخ سهل يعرفه كل من يعرف د. (رفعت إسماعيل)..

رفعت إسماعيل:

لي أخ يدعى (رضا) متزوج من امرأة متسلطة تدعى (نجاة)، وأخت تدعى (رئيفة) زوجها يدعى (طلعت).. أعز

أصدقائي في الإسكندرية ويُدعى (عادل).. وقد خطبت شقيقة زوجته (هويدا) لفترة.. ولي جار يدعى (عزت) - مثّال - وسر فشل علاقتي مع الأنثى هو انعدام ثقتي بقدرتي على أن أتحمل شريكًا لحياتي.. دعك من حب متغلغل في نفسي لفتاة إنجليزية تدعى (ماجي).. هل هذا كاف أم أتحدث عن الكاهن الأخير (هن - تشو - كان) الذي..

رفعت (في عصبية):

كفى!

شريف:

هل هذا الكلام صحيح يا د. (رفعت)؟

رفعت (متوترًا):

للأسف صحيح.. وبعضه لا يدري به أحد سواي.. إنه جزء من أعمق أعماق ذاتي.. إنني.. إنني.. لا أدري حقًّا.. هـ.. هذا الرجل يعرفني كنفسي!

رفعت إسماعيل:

لأنني أنت يا د. (رفعت)! هذا كلام واضح..

شريف:

ما هو الشيء الواضح هنا؟ أنت مجرد هاوٍ لتقليد الأصوات يا سيدي تحاول التسلية..

رفعت إسماعيل:

حسن.. إن فصيلة دمى (B).. ولدى قرحة مزمنة وربو شعبي وضيق في

الشريان التاجي الأمامي بسبب الإفراط في التدخين.. ولدي وحمة حمراء في جدار البطن.. و.....

رفعت (مستسلمًا):

الأمر واضح.. هذه الصورة الشمولية لا يعرفها أحد من معارفي وأقاربي.. كل واحد منهم يعرف جزءًا صغيرًا منها.. إن أخي لا يعرف حكاية شرياني التاجي.. بينما (عزت) جاري لا يعرف اسم أخي ولا اسم زوجته.. ولا أحد يعرف (ماجي) سوى (عادل).. لكنّ (عادل) لا يعرف شيئًا عن الكاهن الأخير[10]..

شريف:

ومعنى هذا؟

رفعت:

معناه أن المتكلم هو (رفعت إسماعيل) حقًّا..

شريف:

ومن تكون أنت إذن؟

رفعت:

سؤال غريب**!** أنا (رفعت إسماعيل) طبعًا..

شريف:

هل لك أخ توءم متماثل؟

رفعت:

لا أخ لي سوى (رضا).. وعلى كل حال لا أحد يُسمّى التوائم بنفس الاسم..

شريف:

إذن.. ما معنى ما يحدث؟

رفعت:

لا أدري.. ربما كان د. (رفعت إسماعيل) هذا كريمًا بما يكفي كي يفسر لنا معنى هذا كله..

رفعت إسماعيل:

الأجدر بك أنت أن تقدم هذا التفسير لي.. فهأنذا جالس في داري أستمع إلى المذياع ثم أجد من يتحدث باسمي وصوتي.. تجدني في غاية الدهشة..

شريف:

لكن لحظة.. أنا واثق من أن من أمامي هو د. (رفعت إسماعيل) بشحمه ولحمه -

إن كان يملك شيئًا غير العظام - ولن أصدق أنه نصاب.. لقد تقابلنا مرارًا.. وهو من يرد على الهاتف حين أطلبه.. وهو من توجد صورته في بطاقته الشخصية.. إذن هذا هو من اصطلح القوم على تسميته د. (رفعت إسماعيل)..

رفعت إسماعيل:

هذه ـ لعمري - قضية فلسفية مهمّة: ما هو الدليل على كينونتي؟ ما الذي يجعلني أنا؟ هناك (رفعت) يعرفه المستمعون.. وواحد يعرفه طلبته.. وواحد يعرفه أصدقاؤه.. وواحد يعرفه هو نفسه.. فمن بين كل هؤلاء هو العجوز (رفعت إسماعيل)؟!

رفعت:

أنا كل هؤلاء معًا.. على كل حال لا يوجد سوى حل واحد لهذا الإشكال.. هو أن نلتقي..

رفعت إسماعيل:

مستحيل..

رفعت:

آها! هو ذا التراجع.. إذن أنت مجرد نصاب عبقري..

رفعت إسماعيل:

لا أعني هذا.. الأمر - ببساطة - هو أن لقاءنا مستحيل.. لأننا نفس الشخص.. لكننا جانبان منفصلان متناقضان..

رفعت:

هل تعني أننا شخصيّة مزدوجة؟ ربما كنت أحمل بذور الجنون في روحي.. لكنّ - مهما بلغ الجنون من تفاقم - لم ير العلم الشخصية الأخرى تغادر الجسد لتعمل مستقلة.. إنّه أمر شبيه بأن يغادر أنفك وجهك ليتنزه ثم يعود إليه!

رفعت إسماعيل:

هذا هو المفترض.. لكنّ - في ظروف غير مفهومة - لم نعد ذات الشخص..

شريف:

لا أفهم كل هذا الجدل الميتافيزيقي.. إن هذا المزاح.....

رفعت:

لحظة يا (شريف). أستطيع فهم ما يريد هذا المعتوه قوله.. إن كلًا منا ليس شخصًا واحدًا.. أحيانًا أنت قاس شرير كالشيطان.. وأحيانًا أنت رقيق كملاك.. أحيانًا أنت واهن كطفلة رضيعة.. وأحيانًا أنت أقوى من (طرزان)...

وفي كل لحظة من حياتك تلعب إحدى هذه الشخصيات الدور الأكبر.. وفي ظروف معينة ـ كالتي يزعمها هذا الأخ ـ قد تتحرر شخصيّة من الشخصيات العديدة لتمارس حياة مستقلة..

رفعت إسماعيل:

تماما كما تقول.. لست غبيًا جدًّا يا د. (رفعت)..

شريف:

إذن فهذا الأخ يمثل الجانب الإيجابي المندفع الوقح قليلًا في شخصيتك يا د. (رفعت).. لكنّ كل هذا عسير على التصديق..

رفعت:

بالطبع.. لهذا أرجح أنّ هذا الرجل نصاب يجيد تقليد الأصوات.. وأقترح إنهاء المكالمة حالًا..

رفعت إسماعيل:

مازلت تكابر.. ألم تقل منذ ثوان إنّه من المستحيل أن أعرف كل هذا عنك؟



رفعت:

إن الشخص الذي يعرف (رضا) و(عزت) و(ماجي) و(عادل) لقادر على تجميع محاور حياتي واستنباط قصة كاملة..

رفعت إسماعيل:

ومن هو هذا الشخص الذي يعرف كل هؤلاء؟

رفعت:

حسن.. لنفترض أنك محق.. فماذا تريد يا سيد (رفعت)؟ لا أظن أنك تعشق الثرثرة..

رفعت إسماعيل:

لا أريد سوى وضع الأمور في نصابها.. ليس (رفعت إسماعيل) الذي يلتقي به البرنامج هو (رفعت إسماعيل) الوحيد...

رفعت:

حسن.. لنرتب أفكارنا.. يمكن أن أفترض أنك قريبي؟

رفعت إسماعيل:

بالطبع لا..

رفعت:

ذات مرة حدث شيء مماثل مع كهنة (الفودو) في (الكاريبي)، وقد استطاعوا الحصول على صورة مجسدة إكتوبلازمية لي من عويناتي التي حصلوا عليها.. نسخة متقنة مني...

رفعت إسماعيل:

لا أدري أهذا ممكن أم لا.. لكنه ليس الحال هنا..

رفعت:

هل أنت من شعب الأطياف؟ (آشتا) آخر؟ أو ربما أنت آت من عالم مواز كالذي تحدث عنه (سالم) و(سلمى) يومًا ما؟ ربما

أنت نسختي على ذلك الكوكب.. أو أنت نسخة جينية (كلون) صنعها، أحدهم من إحدى خلايا جسدي.. إن كتاب الخيال العلمي قد قتلوا هذا الموضوع كتابة..

رفعت إسماعيل:

لماذا تخلط الأمور؟ لقد استعرضت كل الاحتمالات الممكنة وغير الممكنة.. والمعقولة والشاذة.. لماذا لا يكون الحل الوحيد هو أنني أنت؟

رفعت:

دعك من الفلسفة.. وقل لي.. ربما أنت توءم سيامي كان في جسدي وانتزعوه مني في الصغر ليغدو شخصًا آخر كامل النمو.. ويشبهني في كل شيء..

رفعت إسماعيل:

أنت إنسان غريب التفكير حقًا.. قلت لك حلًا بسيطًا..

رفعت:

حسن.. أشكرك على إبلاغك لي أنني اثنان ولست واحدًا.. هل يمكننا إذن إنهاء هذا السخف؟!

رفعت إسماعيل:

حسن.. أقترح أن نحل هذا الإشكال بطريقة متحضرة.. واحد فينا فقط يملك الحق في الحياة.. فالحياة لا تتسع لاثنين (رفعت إسماعيل) على ما أظن..

رفعت:

لم لا؟ إن شقتي واسعة.. وطعامي وفير..

رفعت إسماعيل:

هذا هو الإشكال الحق.. فأنا أرى أنّ هذه شقتي وطعامي أنا.. ولا أحب المزاحمة.. ثم من منا يملك الحق في العمل والحب والحياة عمومًا؟ لو أننا أردنا الزواج من (ماجي) مثلًا.. فمن هو الذي سيتزوجها بالضبط؟

رفعت:

أرى وجهة نظرك..

رفعت إسماعيل:

لهذا كله سأحرص على أن أجعلك تراني وتواجهني.. سيكون موعدنا غدًا في داري - أو دارك كما تشاء - ولحظتها ستدرك ما

أعنيه حين تحدّثت عن كوننا ذات الشخص..

شريف (في عصبية):

لكنّ كل هذا هراء.. إن حديثكما يوشك أن يكون حديث معتوهين في مصحة أمراض عقليّة.

رفعت:

ربما.. لكني لا أبذل أي جهد في هذا الهراء.. هذا الأخ هو من اتصل وهو المطالب بإثبات صدق ما يزعم.. ثم هو قد قال منذ ثوان إنّه لا يستطيع مواجهتي لأنّه أنا.. الآن يؤكد أن المواجهة ممكنة.. وأنا أحب المتناقضين لأنّهم يشعرونني بقوّة مركزي...

رفعت إسماعيل:

سنتحدث عن القوة حين نلتقي.. لكنّ لتعلم أنني لا أمزح.. إن لقاءنا سيكون نوعًا من المبارزة تنتهي بانتهاء وجود أحدنا.. ويخلو المكان للآخر تمامًا.. وبهذا أسعد.. ولهذا قلبي يطرب..

رفعت:

هل أحضر شهودي ومسدسي إذن؟

رفعت إسماعيل:

ليس هذا محتومًا.. هناك أنواع عديدة من المبارزات، ولسوف ترى كيف تكون مبارزتنا هذه.. هادئة لكنّها فعالة..

رفعت:

حسن.. سأعد لك غداءً شهيًا.. إن المرء لا يلقى نفسه كل يوم كما تعلم..

رفعت إسماعيل:

بل أنا من سيعد الغداء.. أنسيت أنها داري أنا؟ والآن وداعًا أيها الشيخ.. (يضع السماعة)..

رفعت:

وداعًا.. وبالمناسبة.. أنا كهل ولست شيخًا بعد..

شريف:

هل ستفسر لنا الآن معنى كل هذا؟

رفعت:

لو كان لدي تفسير لقلته.. لكنى غدًا أعرف كل شيء.. لكنّ هل لاحظت عبارة (به أسعد، وله قلبي يطرب) في كلامه؟ عبارة غريبة التركيب حقًّا.. وقد سمعتها من شخص واحد فقط كان يقرأ أوراق (التاروت).. وكان يدعى د. (لوسيفر)..

كان د. (لوسيفر) قارئ أفكار محترفًا.. أعترف له بهذا.. لكنه كان كذلك شيطانًا زنيمًا.. وأعتقد أنه كان يمقتني حقًا..

شريف:

هل تعتقد أنه هو من..؟

رفعت:

لا أدري.. لكنّ د. (لوسيفر) هو الوحيد الذي يستطيع معرفة كل ما أعرفه عن

نفسي.. وإنني لأتساءل.....

شريف:

هل ستحكي لنا ما سيحدث غدًا؟

رفعت:

بالتأكيد.. هذا بالطبع لو ظللت أنا أنا.. من المستحيل معرفة من يجيء لكم في المرّة القادمة.. ربما أنا وربما (رفعت إسماعيل) هذا..

ومن الواضح من الكلام أن تمييزنا مستحيل..

شريف:

إن كل هذا يصيبني بالدوار..

رفعت:

أنا كذلك.. لكنّ عزائي الوحيد هو أنني سأعرف الجواب غدًا..

شريف:

أما نحن فسنعرفه في الحلقة القادمة..

رفعت:

ولربما ظل سرًا إلى الأبد.. من يدري؟!

❋ ❋ ❋

خـاتمــة

يقدمها: د. رفعت إسماعيل

وبعد.. لقد وصل الشريط إلى نهايته، ولم يعد هناك سوى صوت دوران القرص بعد ما خمدت الأصوات الأخرى...

هذه هي نهاية حلقة الرعب الثالثة..

وقد سمعنا فيها ـ وربما استمتعنا كذلك ـ بعض الحلقات المختارة من هذا البرنامج، الذي أعتقد أنه كان جيدًا.. لكنه توقف لأسباب يطول شرحها... ليس شخصي من بينها لحسن الحظ..

إن لدي كثيرًا من حلقات هذا البرنامج - حوالى سبعين حلقة - ربما أقدمها لكم يومًا ما، لو شعرت بأنكم احببتموها حقًّا..

لقد حاولت تنويع الحلقات التي اخترتها لكم هذه الليلة.. فتجنبت قصص مصاصي الدماء والمذءوبين والموتى الأحياء..

قدمت لكم تنويعات على: تحضير الأرواح.. أكاذيب الأطفال.. السحر الأسود.. أشباح الضحايا العائدة لتملأ الحياة تعقيدًا.. بل والتشويق البوليسي الخالي من الميتافيزيقا...

ستكون المجموعة التالية من الحلقات مختلفة في موضوعاتها.. بعضها أفضل

من حلقات اليوم وبعضها أسوأ بالطبع.. لكنّها جديدة تمامًا..

لا أدري متى أقدمها.. لكنّها بالتأكيد لن تكون الحلقة الرابعة منعًا للإملال.. وحرصًا على تغيير القالب في كلّ مرّة..

تسألونني عما فعلته مع (رفعت إسماعيل) الآخر..

يا له من سؤال! بالطبع تلاقينا وكانت لنا قصة لا بأس بها.. لكني سأقدمها لكم في كتيب منفصل هو (أسطورة رفعت إسماعيل).. ونلتقي به - بعون الله - في الكتيب الثاني والثلاثين..

وماذا عن حلقة الرعب التالية؟

لم أعرف بعد كيف ستكون.. لكنّها بالتأكيد مسلية وجديدة.. بها عدد لا بأس به من الأشباح والكهنة الحانقين.. والصناديق المغلقة على سر مريع.. والفتيات اللواتي تغطي القشور سيقانهن.. والأطفال الباكين الذين تعرف بعد قليل أنهم ماتوا منذ أعوام...

والقبور المفتوحة.. والمومياوات التي تنوي خراب بيت من يعبث بأكفانها..

إن جعبة (رفعت إسماعيل) لا تفرغ أبدًا..

(رفعت إسماعيل) الذي يعتبره البعض معتوهًا.. ويعتبره البعض نصابًا.. لكنّ الجميع يرونه مسليًا..

كل هذا وأكثر تلقونه في حلقة الرعب الرابعة..

ولكن هذه حلقة أخرى.

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع:

١٦٠٦

المطبعة
العربية
الحديثة
٨ و١٠ شارع ٤٧
المنطقة الصناعية
بالعباسية
القاهرة ت:
٢٨٢٣٧٩٢ -
٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

مـقدمـة..
بـعـد منتصـف الليـل
الحلقة الأولى (الزوج الذي عاد)
الحلقة الثانية (حكاية من المشرحة)
الحلقة الثالثة (فكرة غير عادية)
الحلقة الرابعة (الشقة رقم "٩")
الحلقة الخامسة (قُلْ لي يا "أونكل")
الحلقة السادسة (الحافلة)
الحلقة السابعة (بس بس.. ناو..!)
الحلقة الثامنة (من أنا؟)
خـاتمــة

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

روايات مصرية للجيب



د. أحمد خالد توفيق

أسطورة بعد منتصف الليل..

نحن ننتظرك .. لو أن صديقك يتحول إلى مسخ فلا تتردد .. واتصل بنا ..، لو أنك ترى ضوءًا مريبًا فى دار جيرانك الذين هاجروا منذ أعوام .. فاتصل بنا ..، لو تحرك شىء ما فى قبو دارك ليلا .. فاتصل بنا ..، لو تبدّل وجهك فى المرآة إلى وجه آخر تعرفه .. فاتصل بنا .. صحيح أن الوقت متأخر .. لكن لا تتـــردد .. نـحـن بـانـتـظـارك ســــاهـــرون ...

العدد القادم:

أسطـورتــهـا ..!



Notes

[←1]

راجع الكتيب العاشر (حلقة الرعب) حيث مناقشة أكثر تفصيلًا عن عشق الرعب..

[←2]
برنامج (رسالة) هو الجد الشرعي لبرنامج (أريد حلًا) الحالي..

[←3]

٢٠٠ يوم حول العالم...

[←4]

أرجو ألا ينسى القارئ أن ترتيب الحلقات هنا يختلف عن الترتيب الذي أذيعت به..

[←5]

ليس مؤكدًا أنّ هذا كان مصير المستكشف الإنجليزي الشهير (ليفنجستون)، والذي اختفى في مجاهل إفريقيا وهو يبحث عن منابع النيل..

[6←]

كان هذا النوع من الجوائز سائدًا في الستينات، قبل أن تصير جوائز اليوم من عينة السيارات والشقق والجنيهات الذهبية..

[←7]

حقيقة..

[←8]

تقرءونـها بالتفصيل في (أسطورة ملك الذباب)..

[9←]
أنا أخرى.. وهو مقطع شهير للشاعر الفرنسي (رامبو)..

[←10]

في هذا الوقت لم يكن (رفعت) قد نشر أية قصة له من التي يعرفها قراؤنا..